



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عباس لغرور-خنشلة
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم: العلوم الإنسانية



شعبة: تاريخ

تخصص: تاريخ المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية

الرقم التسلسلي:

معاملة أسرى الحرب بين المقاومة الشعبية الجزائرية والاحتلال الفرنسي-دراسة مقارنة 1916-1830

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستري في شعبة التاريخ، تخصص: تاريخ المقاومة والحركة الوطنية

إشراف الأستاذ:

رامي سيدي محمد

إعداد الطالبتين:

← حيزية غربي.

← سارة نسيغاوي.

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
عبد القادر رحمون	أستاذ محاضر _ أ _	رئيسا
رامي سيدي محمد	أستاذ محاضر _ أ _	مشرفا ومقررا
النوي بن مبروك	أستاذ محاضر _ أ _	مناقشا

الموسم الجامعي: (2024م-2025م) - (1445هـ-1446هـ)

الشكر والعرفان:

الشكر أولاً إلى الله عز وجل القائل في محكم كتابه العزيز

{لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ}

الحمد لله الذي وهبنا نعمة العقل لينير لنا الطريق ووفقنا بمشيئته وقدرته على إتمام هذا العمل. ويدعونا واجب الوفاء والعرفان أن نتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى كل من مد لنا يد العون والمساعدة وساهم معنا ولو بكلمة أو إشارة أو رأي ونخص بالذكر الأستاذ الفاضل "سيدي محمد رامي" وذلك على حسن إشرافه على هذا البحث وتقديمه العون.

الإهداء:

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله

نحمد الله تعالى الذي منى علينا بنعمة العقل والعلم ووفقنا لإتمام هذا
البحث.

أهدي تحياتي إلى نفسي التي اجتهدت وسهرت...إلى عقلي الذي بحث
وسعى...وإلى قلبي الذي صبر وتحمل...تذكيرا لكل لحظة تعب...ولكل تحد
تجاوزه...ولكل خطوة اقتربت بها من هدفي.

أنت تستحقين الفخر بكل ما أنجزت...وما زال الطريق أمامك مضيئا بالأمل
والعزيمة...استمري فالمستقبل بانتظارك.

حيزية

الإهداء:

من قال أنا لها "نالهـا"...وأنا لها وإن أبـت رـغـما عـنـها أتيت بها...نلتها وعانقت اليوم مجداً عظيماً...فعلتها بعد أن كانت مستحيلة...كانت دروباً قاسية...وطرقاً خسرت بها الكثير ولكني "وصلت".

الحمد لله حبا وشكراً وامتناناً...الحمد لله الذي بفضلـه أدركت اسمي الغايات أنظر لنفسي ونجاحي كالذي ينظر إلى معجزاته...إلى العلم الذي طال انتظاره...تحقق بفضل الله وأصبح واقعاً افتخر به.

لم تكن الرحلة قصيرة ولا الطريق محفوفاً بالتسهيلات...لكني فعلتها...فالحمد لله الذي يسر البدايات وبلغنا النهايات بفضلـه وكـرمه.

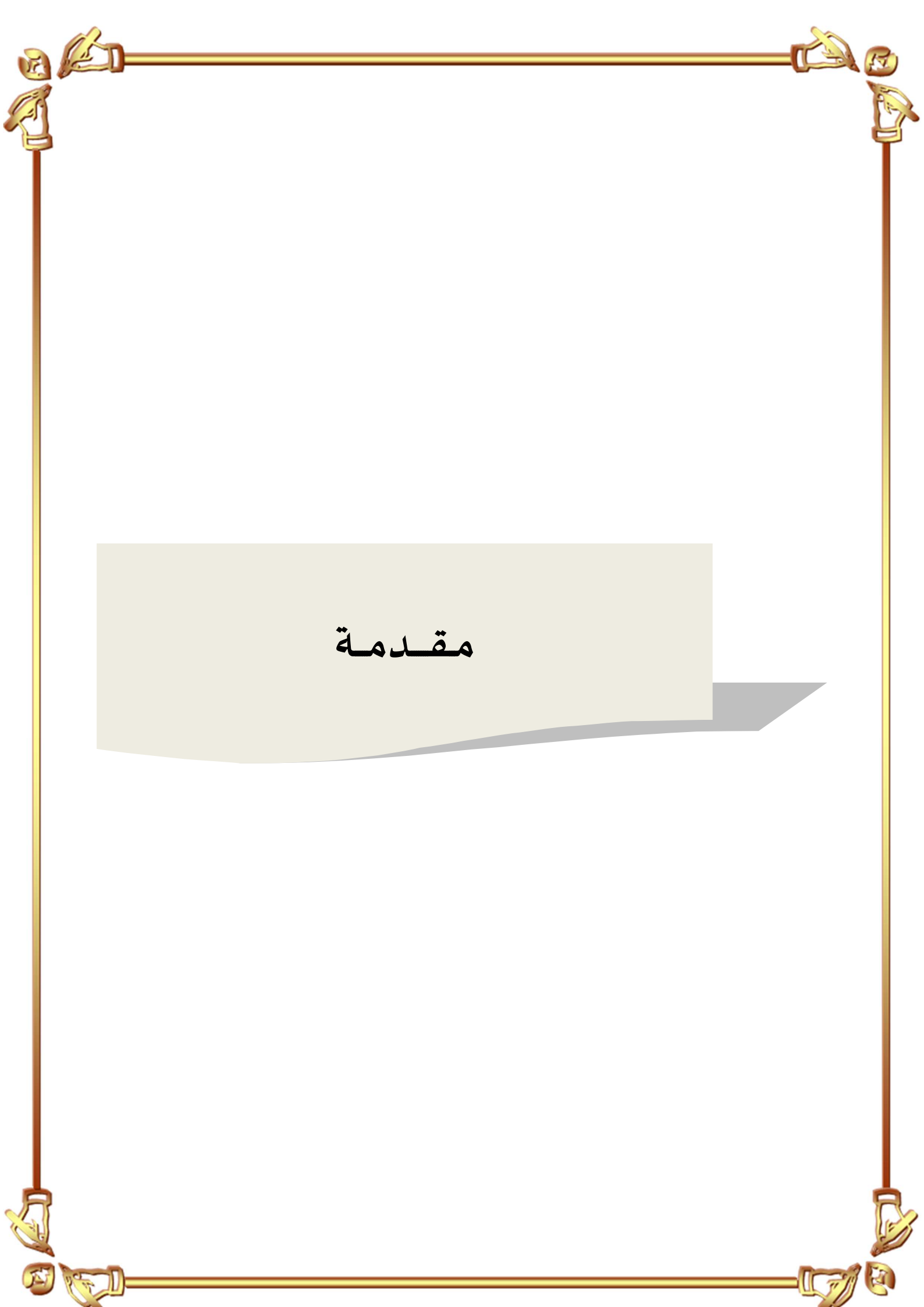
أهدي هذا النجاح لنفسي الطموحة أولاً ابتدأت بطموح وانتهت بنجاح.

أهدي تخرجي وثمره جهدي وحصاد ما زرعته سنينا طويلة في سبيل العلم...إلى من أكرمني الله به وجعله من بين صفوف الرجال أبا لي وزادني به شرفاً وعُلواً واعتزاز والدي الحبيب "عبد الرزاق" أطال الله في عمرك.

وإلى أنيسة العمر وحبيبة الروح وأعظم نعم الله علي التي ضمت اسمي بدعواتها في ليلاها ونهارها وأضاءت بالحبه دربي وأنارت باللطف والود طريقي وكانت لي سداً ماطرًا بالحبه والبذل والعطاء وكانت سبباً بعد الله فيما أنا عليه الآن والدي الحبيبة "فطيمة" أطال الله في عمرها.

وإلى النور الذي شع ضياءه على قلبي ودربي وكل حياتي...من سقوا الفؤاد دوماً بطيب كلماتهم وعطاياهم السخية وبوجودهم استشعرت معنى أن يكون للمرء وجهه يستمد منها بهجته وشغفه الحياة وأيقنت معهم أنني حظيت بخير إخوة ورفاق وسند...إخوتي الغاليين "عبد المالك، زكرياء، لبنى" حفظهم الله.

سارة



مقدمة

شكل الاحتلال الفرنسي للجزائر عام (1246هـ/1830م) نقطة تحول مفصلية في تاريخ البلاد، حيث بدأت مرحلة طويلة من الاستعمار العسكري والسياسي والاقتصادي، امتدت لأكثر من قرن، ابتدأت بمقاومات شعبية متتالية عبرت عن رفض الجزائريين لهذا الواقع المفروض عليهم بالقوة، وقد تميزت هذه الفترة بالكثير من المآسي والمعاناة سواء في ميادين القتال أو في الجوانب الإنسانية، ومن أبرزها مسألة الأسرى التي تعد من القضايا الهامة التي عكست طبيعة العلاقة بين المستعمر والمستعمَر، وكشفت حجم الانتهاكات التي تعرض لها الشعب الجزائري، وكذلك مواقف المقاومين من الأسرى الفرنسيين الذين وقعوا في أيديهم خلال المعارك.

فلم تكن ظاهرة الأسر مقتصر على طرف دون الآخر، بل مارسها كلا الجانبين، فالسلطات الفرنسية كانت تسعى بكل وسيلة لإخماد روح المقاومة، فاعتقلت ونكلت بعدد كبير من الجزائريين، في حين تمكن المقاومون الجزائريون رغم ضعف الإمكانيات من أسر جنود فرنسيين، وفي الإطار يندرج موضوع بحثنا، والذي جاء بعنوان "معاملة الأسرى بين المقاومة الوطنية الجزائرية وجيش الاحتلال الفرنسي-دراسة مقارنة 1830-1916".

1. حدود الدراسة:

حتى تكون هذه الدراسة أكثر دقة ووضوح، كان لابد من ضبط حدودها وفق معايير زمنية ومكانية محددة تسمح بفهم أعمق للموضوع، وتجنب التوسع الذي قد يبعدنا عن الهدف الأساسي منها، لذلك تم تحديد الإطار العام لهذه الدراسة كما يلي:

1.1. الحدود الزمانية:

تمتد الدراسة من بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة (1246هـ/1830م) إلى بداية القرن العشرين تحديدا سنة (1334هـ/1916م)، مع العودة إلى الفترة السابقة قبيل الاحتلال.

2.1. الحدود المكانية:

تتركز الدراسة على المناطق التي شهدت مقاومات شعبية نشطة وأسر متبادل سواء داخل الجزائر أو في أماكن احتجاز الجزائريين بفرنسا.

2. أسباب اختيار الموضوع:

ومن أهم الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع:

1.2. الأسباب الذاتية: والتي تتمثل في:

➔ اهتمامنا الشخصي بتاريخ المقاومة الوطنية الجزائرية، وخاصة الجوانب الإنسانية التي لم تحظ بالاهتمام الكافي؛



➤ الرغبة في تسليط الضوء على ملف الأسرى الجزائريين باعتباره من الملفات المؤلمة التي لا تزال بحاجة إلى توثيق وتحليل؛

➤ محاولتنا لفهم مواقف المقاومة من زاوية أخلاقية وإنسانية.

2.2. الأسباب الموضوعية: والمتمثلة في:

➤ ندرة الدراسات التي تناولت موضوع الأسرى بشكل مستقل ومفصل خلال الفترة الممتدة من 1246هـ/1830م إلى 1334هـ/1916م؛

➤ وجود فجوة أكاديمية واضحة في هذا الجانب، مما يمنح البحث أهمية علمية لمحاولة سد هذا النقص وتقديم معالجة متكاملة؛

➤ إبراز أحد أوجه التفوق الأخلاقي للمقاومة الجزائرية في تعاملها مع الأسرى مقارنة بالاحتلال الفرنسي؛

➤ وجود مادة أرشيفية وتاريخية متفرقة تحتاج إلى جمع وتحليل ضمن إطار بحثي متماسك.

3. أهمية الموضوع:

تتمثل أهمية هذا الموضوع في كونه:

➤ يعالج جانبا مهما من تاريخ المقاومة الجزائرية، وهو قضية الأسرى؛

➤ تكشف ممارسات الاحتلال الفرنسي اتجاه الأسرى الجزائريين؛

➤ تبرز كيفية تعامل المقاومة الشعبية الجزائرية مع الأسرى الفرنسية؛

➤ تظهر الفروقات الجوهرية بين ممارسات الاستعمار وسياسية المقاومة؛

➤ تساهم في إعادة بناء الذاكرة التاريخية المرتبطة بفترة المقاومة؛

➤ تساعد على ربط الماضي بالحاضر لفهم أوسع للهوية الوطنية ومسار النضال الجزائري.

4. الإشكالية:

تتمحور الإشكالية الأساسية للموضوع حول إظهار الفوارق بين المعاملة التي تلقاها الأسرى الجزائريون على يد الاحتلال الفرنسي، ومعاملة المقاومة الشعبية لأسرى الاحتلال الفرنسي وخلفيات كل طرف في طريقة معاملة الأسرى، وتأثير ذلك في مصير الأسير لدى الطرفين.

ويندرج ضمن هذه الإشكالية عدد من التساؤلات الفرعية التي تسعى إلى تفكيك أبعاد الموضوع:

(1) ماهي أبرز الطرق والأساليب التي استخدمت في أسر الأسرى الجزائريين والأوروبيين قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر؟ وكيف تطورت هذه الطرق بعد الاحتلال في سياق الصراع بين المقاومة الجزائرية والاحتلال الفرنسي؟



(2) كيف تعامل الاحتلال الفرنسي مع الأسرى الجزائريين؟

(3) ما طبيعة المعاملة التي تلقاها الأسرى الفرنسيون لدى المقاومة الشعبية؟

(4) هل عكست معاملة كل طرف للأسرى مواقف أخلاقية واضحة؟

(5) وما كان مصير الأسرى لدى كلا الطرفين؟

5. شرح خطة البحث:

جاءت خطة هذا البحث موزعة على مقدمة، فصل تمهيدي وثلاثة فصول رئيسية وخاتمة، تم ترتيبها وفق تسلسل زمني ومنهجي يراعي تطور الظاهرة المدروسة، وكان الفصل التمهيدي معنون ب: قضية الأسرى بين الجزائر وأوروبا قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر، ويعالج الخلفية التاريخية لموضوع الأسر في العلاقات الجزائرية الأوروبية (الفرنسية) قبل سنة (1246هـ/1830م)، مع التركيز على أساليب الأسر المتبعة آنذاك من كلا الطرفين وأوضاع الأسرى ومصيرهم.

والفصل الأول معنون ب: الأسرى الجزائريون لدى فرنسا، وخصص لدراسة واقع الجزائريين الذين وقعوا في الأسر لدى سلطات الاحتلال الفرنسي، حيث يتم التطرق إلى طرق إلقاء القبض عليهم، طبيعة المحاكمات التي خضعوا لها، ظروف السجن، سياسات النفي والتعذيب وغيرها من أشكال المعاملة التي تعرضوا لها.

أما الفصل الثاني معنون ب: الأسرى الفرنسيون لدى المقاومة الشعبية، ويعالج مسألة الأسرى الفرنسيين الذين وقعوا في قبضة المقاومة الجزائرية، ويتم التطرق فيه إلى كيفية وقوعهم في الأسر، وأشكال المعاملة التي تلقوها، والظروف التي عاشوها.

في حين الفصل الثالث عبارة عن نماذج عن أهم الأسرى لكلا الطرفين، بحيث يتناول هذا الفصل دراسة ثلاثة نماذج محددة من الأسرى الجزائريين وحالة واحدة من الفرنسيين، وهذا بسبب عدم وصولنا إلى غيره من النماذج، مما يجسد ما ورد في الفصول النظرية السابقة بأمثلة ملموسة تدعم التحليل والمقارنة. وفي الأخير قمنا بختم هذا العمل بخاتمة تشمل جميع النتائج التي توصلنا إليها من خلال الفصول الأربعة السابقة.

6. المصادر والمراجع:

اعتمدنا على مجموعة متنوعة من المصادر والمراجع باللغتين العربية والفرنسية التي أفدتنا في إعداد هذا العمل، ونذكر أهمها:

1.6. المصادر:

← حمدان خوجة بن عثمان: المرأة، حيث يعد شهادة حياة ومباشرة عن بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة



1830م، وقد قدم معطيات دقيقة حول أوضاع البلاد خلال تلك الفترة خاصة فيما يتعلق بأسر الشخصيات الجزائرية، مما ساعدنا على فهم السياق الأولي لنشأة ظاهرة الأسر وتعامل الاحتلال مع الأسرى الجزائريين في بداياته.

→ Si Azziz Ben Mohammed : Mémoire D'un Accusé, Si Azziz ben Mohammed Amzian ben Cheikh El haddad à ses juges et à ses défenseurs; (traduit par Ernest Mercier ; avec préface de Léon Seror, avocat). 1873.

اعتمدنا على هذا المصدر في الفصل الثالث، حيث قدم هذا الكتاب شهادة عزيز الحداد عن معاناة الأسرى الجزائريين بعد ثورة المقراني، ووصف تفاصيل محاكمته أمام القضاء الفرنسي، وظروف اعتقاله والمعاملة التي تلقاها، ثم نقله إلى المنفى في كاليدونيا الجديدة، مما يعكس بوضوح سياسات الاحتلال اتجاه قادة المقاومة.

2.6. المراجع:

1.2.6 الكتب:

← بشير كاشة الفرحي: مختصر ووقائع أحداث ليل احتلال فرنسا للجزائر 1830-1962، 2007، استعنا بهذا الكتاب في الفصلين الأول والثاني، وذلك من خلال ذكر أهم الطرق والوسائل التي تم أسر الأسرى منها لكلا الطرفين، بالإضافة إلى تسليط الضوء على مصير بعض الأسرى

2.2.6. المقالات:

← عائشة غندوز، مبادئ العدل والقضاء في المشروع الأميري 1832-1860 أسرى الحروب أنموذجا، 2022، أفادنا هذا المرجع في ذكر مبادئ الأمير عبد القادر في معاملة أسراه.

→ Xavier Yacono. Les prisonniers de la smala d'Abd el-kader.

استعملنا هذا المقال في الفصل الثاني، حيث أفادنا في ذكر تفاصيل الأسرى الفرنسيين الذين وقعوا في قبضة الأمير عبد القادر خلال الهجوم على السمالة، مبرزاً عدد الأسرى، ظروف اعتقالهم، وكيفية تعامل الأمير عبد القادر معهم.

3.2.6. الأطروحات:

← بلقاسم قرياش، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1095هـ/1671م-1246هـ/1830م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة مصطفى إسماعيل-معسكر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2015-2016، والتي زودتنا بإحصائيات الأسرى لدى كل من الطرفين، وخاصة الأسرى الأوروبيين لدى الجزائر أثناء العهد العثماني.



4.2.6. الرسائل:

← عائشة محمة، الأسرى الأوروبيين في مدينة الجزائر ودورهم في العلاقات بين الجزائر ودول الحوض العربي المتوسط خلال القرنين السادس والسابع عشر للميلاد، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة غرداية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2011-2012، اعتمدنا على هذه الرسالة في الفصل التمهيدي، وذلك من خلال التطرق إلى ذكر أهم عمليات الأسر.

7. المناهج المعتمدة:

اعتمدنا في هذا البحث على جملة من المناهج التاريخية التي تكاملت فيما بينها لمعالجة موضوع معاملة الأسرى بين المقاومة الوطنية الجزائرية وجيش الاحتلال الفرنسي خلال الفترة الممتدة من (1246هـ/1830م) إلى (1334هـ/1916م)، وتمثلت في:

1.4. المنهج التاريخي التحليلي:

إذ تم من خلاله اتباع الأحداث والوقائع المرتبطة بظاهرة الأسر، وتحليل السياقات التي وقعت فيها، مع ربطها بالظروف السياسية والعسكرية التي ميزت تلك الحقبة.

2.4. المنهج الوصفي:

اعتمدنا هذا المنهج في وصف أوضاع الأسرى، سواء من حيث ظروف الاعتقال والمعاملة اليومية أو من حيث المصير الذي لاقاه كل طرف، مما ساعدنا على نقل صورة دقيقة للواقع كما كان.

3.4. المنهج المقارن:

وهو المنهج الرئيسي في هذا العمل، لكن تم توظيفه بشكل غير مباشر من خلال الموازنة بين ممارسات الاحتلال الفرنسي تجاه الأسرى الجزائريين، وممارسات المقاومين تجاه الأسرى الفرنسيين بهدف إظهار أوجه التشابه والاختلاف بين الطرفين.

4.4. المنهج الإحصائي:

تم توظيفه لأجل دعم الدراسة ببيانات مستخرجة من بعض المصادر والمراجع، كذلك بعض الإحصائيات لعدد بعض الأسرى.

8. الصعوبات:

ومن أهم الصعوبات التي واجهتنا خلال إنجاز هذا العمل، نذكر منها:

← ندرة الدراسات الأكاديمية المفصلة حول موضوع الأسرى خلال فترة المقاومة؛

← قلة المصادر العربية وصعوبة الوصول والحصول على الفرنسية وترجمتها؛



مقدمة

- ← قلة الشهادات المباشرة من الأسرى أنفسهم، خاصة من الجانب الجزائري؛
- ← الطابع الدعائي والمنحاز لبعض الوثائق الفرنسية؛
- ← تضارب المعطيات الإحصائية بين المصادر المختلفة؛
- ← صعوبة الوصول إلى أرشيف موثوق يغطي كل الجوانب الزمنية والجغرافية للموضوع.



الفصل التمهيدي:

قضية الأسرى بين الجزائر وأوروبا
قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر

الفصل التمهيدي.....قضية الأسرى بين الجزائري وأوروبا قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر

تمهيد الفصل:

كانت قضية الأسرى بين الجزائر والدول الأوروبية قبل 1830م جزء من الصراعات البحرية في البحر الأبيض المتوسط، بحيث وقع كل من الجزائريون والأوروبيون في الأسر من خلال المواجهات البحرية والهجمات المتبادلة، فعاش هؤلاء الأسرى ظروف مختلفة منهم من خضع للعمل القسري والمهن الشاقة، ومنهم من تم إفدائه وآخرون اندمجوا في المجتمعات سواء طوعا أم قسرا عن طريق التخلي عن ديانتهم، وحتى هناك من كان مصيره الموت وهو في الأسر، ولهذا قمنا بتخصيص هذا الفصل من اجل التطرق إلى:

I- تكتيكات القبض على الأسرى:

- (1) طرق الجزائريين في القبض على الأسرى الأوروبيين.
- (2) طرق الأوروبيون في القبض على الأسرى المسلمين في أوروبا.

II- حياة الأسرى في الأسر:

- (1) الواقع المعيشي للأسرى الأوروبيين في الجزائر.
- (2) الواقع المعيشي للأسرى المسلمين في أوروبا.

III- مآل الأسرى في الأسر:

- (1) مصير الأسرى الأوروبيين في الجزائر.
- (2) مصير الأسرى المسلمين في أوروبا.

الفصل التمهيدي.....قضية الأسرى بين الجزائر وأوروبا قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر

1. تكتيكات القبض على الأسرى:

1. طرق الجزائريين في القبض على الأسرى الأوروبيين:

كانت الجزائر تعرف بقوتها البحرية الكبيرة أثناء فترة الحكم العثماني، مما جعلها واحدة من المراكز الرئيسية في البحر الأبيض المتوسط لعمليات الأسر واخذ الرهائن (محمد الجيلالي، 1994، صفحة 486)، وعرف الأسطول البحري الجزائري بقوة وشجاعة بحارته الذين يطلق عليهم لقب "رياس البحر"، و يقول حمدان خوجة عنهم: "هؤلاء رجال أذكىء يتكيفون مع الحياة البحرية ومنهم من يستولون على السفينة بعد رحلتهم الأولى وقد كانوا يحاربون بشجاعة وإقدام، موقنين بأنهم يستشهدون في سبيل الدين" (بن عثمان خوجة، 2006، صفحة 77).

كما أنها قد عرفوا بكفاءتهم البحرية وقدراتهم في القتال العالية التي مكنتهم من تحقيق انتصارات واسعة (زيتوني، 2011-2012، صفحة 60)، وذلك من خلال قرصنة السفن وأسر العديد من الأسرى من جنسيات مختلفة خاصة الأوروبية.

فيعتبر النشاط البحري هو العمود الفقري للأسطول الجزائري، وذلك من خلال موارد الغزو البحري وملئ الأسواق بالغنائم المتحصل عليها (بوعزيز، 2009، صفحة 184)، وحتى إلقاء القبض على الأسرى الأوروبيين. فكانت عملية الأسر تتم بعدة طرق منها:

1.1. الهجوم على السواحل الجنوبية الأوروبية:

تمثل العديد من دول جنوب غرب أوروبا أهداف مباشرة للبحارة الجزائريين في الهجوم عليها واخذ الأسرى والغنائم منها عند الهجوم عليها وهذا بسبب تركز القراصنة الأوروبيين فيها، مما جعلهم يعدون هجماتهم على الجزائر منها، ومن هذه المدن: السواحل البرتغالية، الإسبانية، الفرنسية وسواحل كورسيكا (بوعزيز، 2009، صفحة 185).

ففي (935هـ/1529م) نجح خير الدين باشا¹ بإرسال نجدة بحرية إلى إسبانيا، بحيث قاموا بحرق القرى وأسر ما يقارب نحو 100 عائلة (محمة، 2011-2012، الصفحات 11-12).

وفي عام (944هـ/1539م) هاجم البايلر باي حسن آغا² الاسبان في مضيق جبل طارق وأثار الرعب فيهم

¹ خير الدين بربروس باشا هو تركي الأصل من أشهر القادة البحريين في الاسطول العثماني واسمه الحقيقي خضر بن يعقوب من مواليد 1478م بجزيرة مدلي، وهو شقيق عروج بربروس توفي في عام 1546م، وللمزيد من المعلومات انظر: (قسول، 2023، صفحة 61).

الفصل التمهيدي.....قضية الأسرى بين الجزائر وأوروبا قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر

(بوعزيز، 2009، صفحة 179)، وأسر العديد من سكانها وتم بيعهم في تطوان بالمغرب (محمة، 2011-2012، صفحة 12).

وفي عام (985هـ/1578م) قام الرئيس مراد¹ بالهجوم على إسبانيا وصقلية وجاء بغنائم وأسرى كثر للجزائر، كذلك حسن باشا الذي غزا جزيرة ميورقة وشواطئ أليكانت، فقام بأسر سكانها واخذ من غنائمها للجزائر (بوعزيز، 2009، صفحة 180)، وبلغ عدد الأسرى في عام (986هـ/1578م) ما يقارب 25 ألف أسير متكونين من الأسرى الفرنسيين، الإيطاليين، الأسبانيين والمالطيين (حنيفي، 2008، صفحة 69).

وفي عام (988هـ/1582م) قام حسن فنزياتو بمهاجمة جزر البليار وبرشلونة واخذ أعداد كبيرة من الأسرى وتهجير أعداد كبيرة من الأندلسيين الفارين (بوعزيز، 2009، صفحة 180)، وتم أسر ما يقارب 400 أسير من جزيرة كورسيكا وحوالي 130 جندي في هذه السنة (حليمي، 1972، صفحة 261).

2.1. المواجهات البحرية واعتراض السفن في عرض البحر (القرصنة):

1.2.1. تعريف القرصنة:

القرصنة (CORSA): وهي كلمة إيطالية تعني السباق، مشتقة من كلمة قرصان (CORSARO) وهي كلمة أعجمية ليس لها علاقة (عباشي، 2023، صفحة 845) باللغة العربية، وإنما اخذها العرب من اللغة الإيطالية. يعرفها الدكتور محمد حافظ غانم على أنها: "اعتداء تقوم به سفينة ضد سفينة أخرى في أعالي البحار لأجل مكاسب كالغنائم" (عمراني، 2013، صفحة 135).

نجد أن غزاة البحر يصفونها باللصوصية، والمصادر العربية الإسلامية تصفها بأنها لها علاقة بنشاط البحرية الإسلامية، وأشار حمدان خوجة في كتابه إلى أن القرصنة الإسلامية جهاد بحري، مرتبط بتحرير الموانئ التي وقعت في يد المسيحيين (بن عثمان خوجة، 2006، صفحة 69).

شهد البحر الأبيض المتوسط العديد من حالات القرصنة التي قامت بها الجزائر، والتي عادت بها بالعديد من الغنائم والأسرى، وخاصة في القرن السابع عشر، ونذكر من هذه الهجمات ما يلي:

² حسن آغا هو حسن فنزياتو والمعروف أيضا باسم حسن البندقي أو علج حسن باشا، وهو من أصل إيطالي ولد في عام 1544م بالبندقية، تم أسره في 1563م واعتنق الإسلام بالإضافة إلى احتلالها لأعلى المناصب داخل الدولة العثمانية، للمزيد من المعلومات انظر: (viedelivre, 2018).

¹ الرئيس مراد هو يانسن فان هارلام من مواليد 1575م بمدينة هارلم الهولندية، وقع أسير لدى المسلمين في عام 1618م، بعدها دخل الإسلام وتزوج امرأة جزائرية ونشط الجهاد البحري مع قائده الرئيس سليمان، حتى أصبح قائدا بحريا في الاسطول الجزائري، وللزيد من المعلومات انظر: (بن مسعود، 2022).

الفصل التمهيدي.....قضية الأسرى بين الجزائري وأوروبا قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر

◀ الفترة الممتدة ما بين (1030هـ/1621م) و(1038هـ/1627م) كان في الجزائر حوالي 20 ألف أسير منهم الفرنسيين، الإسبانين، الإيطاليين، الإنجليز (زيتوني، 2011-2012، صفحة 62)؛

◀ الفترة الممتدة بين (1232هـ/1817م) و(1242هـ/1827م) استطاع البحارة الجزائريين من أسر 26 مركب اغلهم لليونانيين (بوعزيز، 2009، صفحة 201).

3.1. الهجوم على السواحل التي احتلها الإسبان في الجزائر:

ومثال على هذا الهجوم حصن النبيون الذي قد بناه الكونت بيدرو نافارو (Pedro Navarro) الإسباني في عام (916هـ/1510م)، والذي كان يهددون به الجزائر في القصف، فقرر خير الدين بشن هذا الهجوم بحيث تم في 6 ماي (935هـ/1529م) واستمر لمدة 10 أيام، إلى أن تم فوز البحارة الجزائريين وتم أسر 500 أسير مع بعض النساء (محمة، 2011-2012، الصفحات 14-15).

4.1. الحملات العسكرية على مدينة الجزائر:

نذكر منها حملة شارل الخامس على الجزائر في عام (948هـ/1541م) فواجه حسن آغا وقابلتهم هزيمة نكراء، وكذلك معركة مزغرين في (965هـ/1558م) بين حسن آغا وآل كوديت بمكان قريب من مستغانم، وقد حقق فيها حسن آغا انتصارا هاما، بحيث تم أسر عددا هائلا من الأسرى من بينهم ابن آل كوديت (قرباش، 2015-2016، الصفحات 55-56)، أيضا حملة فرنسا على مدينة جيجل في عام (1075هـ/1664م) وكانت نتيجة هذه المعركة هزيمة فرنسا وخسارتها 1400 رجل (محمة، 2011-2012، صفحة 16).

5.1. إحصاءات الأسرى الأوروبيين في الجزائر:

كانت عملية إحصاء الأسرى الأوروبيين (المسيحيين) في الجزائر اثناء العهد العثماني جد صعبة، فهذه الإحصاءات التي تستخدم الآن لم تأتي عن أطر رسمية وإنما هي بعض شهادات لبعض الأسرى، وكذلك هي ليست بإحصاءات دقيقة، وذلك بسبب وفيات بعض الأسرى وفرار بعضهم وحتى تخاصم بعض الاساطيل البحرية التي تنقل هؤلاء الأسرى أو دخول بعضهم للإسلام (قرباش، 2015-2016، الصفحات 141-142).

الجدول رقم (01): يوضح الغنائم البحرية الجزائرية في الفترة الممتدة ما بين (1026هـ/1607م)

و(1027هـ/1618م) حسب قرامايي

السنوات	عدد السفن	عدد الأسرى	الملاحظات
1607م	/	1400	هجموا على 3 مدن من كلابريا
1608م	42	860	/

الفصل التمهيدي.....قضية الأسرى بين الجزائري وأوروبا قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر

1609م	36	632	/
1610م	23	384	/
1611م	20	464	/
1612م	/	3804	كلهم من إسبانيا
1613م	16	230	كلهم من إيطاليا
1614م	35	467	/
1616م	34	767	/
1617م	26	1763	/
1618م	19	1468	منهم من جزر الكناري
المجموع	251	12219	/

المصدر: (سبندر، 2006، صفحة 174).

الجدول رقم (02): يوضح اعداد الأسرى المسيحيين في مدينة الجزائر ما بين (1149هـ/1736م) و(1231هـ/1816م) حسب دفتر التشريفات¹

السنة	عدد الأسرى
1736م	1063
1738م	705
1740م	412
1746م	783
1750م	10063
1756م	634
1760م	1941

¹ دفتر التشريفات (Tachrifat): هو فهرس فانيان جاء به في عهد الحاج شعبان يحتوي على تقارير وملاحظات ورسائل حول الجزائر منذ عهد الداي شعبان في (1103هـ/1691م) حتى بداية الاحتلال وجاء باللغة التركية، وللمزيد من المعلومات انظر: (حنيفي، 2008، صفحة 108).

الفصل التمهيدي.....قضية الأسرى بين الجزائر وأوروبا قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر

1323	1770م
1494	1780م
715	1790م
1168	1798م
860	1800م
1228	1806م
1357	1810م
1475	1812م
1525	1814م
1450	1815م
1016	1816م

المصدر: (حنيفي، 2008، الصفحات 70-71).

الجدول رقم (03): يوضح تقديرات بعض الأسرى المسيحيين في الجزائر ما بين (1151هـ/1738م) و(1246هـ/1830م) من خلال بعض المصادر الأوروبية

عدد الأسرى	السنة	المصدر
2000	1738م	T. Show
2000	1786م-1787م	Venture de Paradis
800	1788م	Raynal
1642	1816م	De Grammont
122	1830م	P. Rozet

المصدر: (حنيفي، 2008، صفحة 72).

الفصل التمهيدي.....قضية الأسرى بين الجزائري وأوروبا قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر

الجدول رقم (04): يوضح تقديرات بعض الأسرى الأوروبيين في الجزائر ما بين (1080هـ/1669م)
و(1203هـ/1789م) من خلال بعض المصادر الأوروبية

السنة	عدد الأسرى	المصدر
1669م	15000-14000 تضم: 100 امرأة وبين 300 و 400 رجل	Mafrici, 98
1675م	12000-6000	Arvieu, Vol
1734م	أكثر من 4000	CFPISOCG
1749م	7000	Bombard
1763م	3000	CFPISOCG
1779م	3000 كاثوليكي	Thédenat
1785م	1800 كاثوليكي وأكثر من 100 يوناني كاثوليكي	Bombard
1785م	315 فرنسي تم تحريره من الجزائر	Trinitaires
1788م	800	Von Renhider Rynalin CRISTL
1678م	30000-20000	Defercourt in Cresti
1681م	5000 أو أكثر	CPF.SOCG
1682م	17000	Barbarella
1683م	40000-35000	Petis de la croix
1687م	10000	Bombard
1691م	36000 من مختلف الجنسيات	Planet
1693م	أكثر من 4000	CFPISOCG
1701م	أقل من 3000 مسيحي	CFPISOCG
1719م	4000	Gueludville in cresti

الفصل التمهيدي.....قضية الأسرى بين الجزائري وأوروبا قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر

Fau in crisi	10000-9000	1721م
--------------	------------	-------

المصدر: (قرباش، 2015-2016، الصفحات 151-153).

الجدول رقم (05): يوضح الجدول جنسيات الأسرى المتواجدين في الجزائر خلال (1226هـ/1811م-
1230هـ/1815م)

السنوات	أسرى الدول
1811م	362 (البرتغال)، 634 (نابولي)، 06 (النمسا)، 34 (سردينيا)، 53 (رومانيا)، 116 (اليونان)، 242 (صقلية)، 49 (الاسبان).
1812م-1813م	52 (رومانيا)، 634 (نابولي)، 52 (فرنسا)، 24 (الولايات المتحدة الأمريكية)، 08 (الاسبان)، 372 (اليونان)، 285 (صقلية)، 10 (النمسا)، 34 (سردينيا)، 159 (مليية)، 18 (فلامند)
1814م-1815م	174 (رومانيا)، 693 (نابولي)، 10 (الولايات المتحدة الأمريكية)، 30 (اليونان)، 325 (صقلية)، 26 (النمسا)، 33 (سردينيا)، 26 (فلامند)، 06 (مايوركا)، 05 (تابولسا)، 159 (مليية)

المصدر: (قرباش، 2015-2016، الصفحات 159-160).

2. طرق الأوروبيون في القبض على الأسرى المسلمين في أوروبا:

خلال الحقبة العثمانية لم يكن المسلمون وحدهم من قاموا بأسر الأوروبيين فالمسلمون أيضا مستهم هذه الظاهرة (أسر المسلمون)، ومنهم الجزائريون خاصة، ويبقى موضوع الأسرى الأوروبيون في البلاد الإسلامية، قد تم تسجيله والكشف عن حقائقه ووقائعه، وذلك عن طريق مذكرات الأسرى أنفسهم والباحثين، على عكس المسلمون في أوروبا الذين لا يزال موضوعهم يحتوي على الكثير من الغموض خاصة في المصادر العربية (حماش، 2012، صفحة 91).

فكان الأوروبيون يقومون بأسر المسلمين بعدة طرق منها:

1.2. الحملات العسكرية على مدينة الجزائر:

لم تسلم الجزائر من الحملات الأوروبية على سواحلها (حماش، 2012، صفحة 91) بحيث كانت دائما ما تقوم بشن حملات وبأسر عدد من السكان واخذهم إلى البلدان الأوروبية لأجل الاعمال الشاقة، وهذا إن لم

الفصل التمهيدي.....قضية الأسرى بين الجزائر وأوروبا قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر

يقوموا بقتلهم وتعذيبهم، كانت هذه الحملات متوالية على الجزائر منذ القرن الحادي عشر إلى غاية القرن التاسع عشر (عطلي، 2011-2012، صفحة 64)، ونذكر:

- حملة شارل الخامس عشر على الجزائر في عام (920هـ/1514م) (بوضرساية، 2020، صفحة 80)؛
- وكذلك الحملة الصليبية الاسبانية بقيادة جون دوريا (Juan Doria) في عام (907هـ/1501م) (عطلي، 2011-2012، صفحة 64)؛
- ولم تخص هذه الحملات الجزائر فقط بل مست المسلمين ككل، فنجد وحشية الصليبيين في تونس عندما اقتحموها، وقاموا بذبح 30 ألف مسلم واسترقاق 10 آلاف امرأة وطفل (بربروس، 2010، صفحة 178).

2.2. المواجهات البحرية (القرصنة):

تعتبر القرصنة ظاهرة قديمة جدا، وظهرت عند الأوروبيين قبل المسلمين، وقد أسر الأوروبيين منها العديد من المسلمين، نذكر من هذه المواجهات: في عام (1055هـ/1645م) دخل الأسطول الجزائري مع العثماني في وقعة كريت ببحر أرخبيل اليونان فاستشهد فيها 250 جندي وأسر حوالي 150 شخص (زيان، 2024، صفحة 138).

3.2. إحصاءات الأسرى المسلمين بأوروبا:

إن قضية الأسرى المسلمين في أوروبا ليست سهلة كإحصاء الأسرى الأوروبيين في الجزائر، وذلك بسبب عدم وجود شهادات حية عن فترات أسرهم (قرياش، 2015-2016، صفحة 165)، والآن سنعطي بعض الإحصاءات للأسرى في بعض السنوات:

الجدول رقم (06): يوضح الغنائم الأوروبية في الفترة الممتدة من (1010هـ/1602م) إلى (1167هـ/1754م)

السنة	السفن	الأسرى	الملاحظات
1582م	/	800	كلهم في مالطا
1602م	/	700	فرنسا ومالطا هم من قاموا بأسرهم
1607م	/	1500 منهم نساء وأطفال	فرنسا ومالطا هم من قاموا بأسرهم
1645م	/	150	في اليونان
1667م	01	260	أسرتهم إنجلترا

الفصل التمهيدي.....قضية الأسرى بين الجزائر وأوروبا قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر

أسرتهم إنجلترا	مجموعة	01	مارس 1669م
أسرتهم إنجلترا	40	/	1669م
/	1820	07	1670م
أسروا من قبل جزر البليار	80	07	1675م
/	240	01	1711م
/	159 رجل 26 طفل وامرأة	/	1717م
أسرتهم إسبانيا	325 أسير 80 جريح	/	1754م

المصدر: من مراجع متعددة.

الجدول رقم (07): يوضح عدد الأسرى المسلمين الذين بيعوا في قادس في الفترة الممتدة من (1060هـ/1650م) إلى (1163هـ/1750م)

السنة الأصل	1650م إلى 1655م	1660م إلى 1665م	1670م إلى 1675م	1680م إلى 1685م	1690م إلى 1695م	1700م إلى 1720م	1725م إلى 1750م	المجموع
بربري	24	82	84	56	40	/	/	286
عربي	124	233	329	69	11	08	04	778
تركي	01	11	06	11	58	21	01	109

المصدر: (قرباش، 2015-2016، صفحة 165).

II. حياة الأسرى في الأسر:

1. الواقع المعيشي للأسرى الأوروبيين في الجزائر:

1.1. طريقة عيشهم (لباسهم وأكلهم):

كانت حياة اغلب الأسرى الأوروبيين في الجزائر حسنة مقارنة بأوضاع الأسرى المسلمين في أوروبا (عميرة، 2021)، كان نوع الطعام الذي يقدم للأسرى يختلف باختلاف وظيفتهم أو طبيعة العمل الذي يعملون فيه،

الفصل التمهيدي.....قضية الأسرى بين الجزائري وأوروبا قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر

وبالنسبة لطعام الأسرى الخواص فقد كان جيدا خاصة لأولئك الذين كانوا يعملون في قصر الداى، حيث يذكر "سيمون بفايفر" في هذا الصدد: "...أما طعامنا فإنه لم يكن من النوع الذي يفرض علينا أن نشكو من الجوع، فقد كانت فضلات المطبخ كلها لنا، وكذلك كل ما يتبقى فوق مائدة الوزير أو السادة الآخرين من أهل البيت" (بفايفر، 1974، صفحة 17)، بينما كاثكارت¹ كان دقيقا في وصفه للطعام الذي يتلقاه الأسرى الذين يعملون في قصر الداى بقوله: "...إن العبدین اللذين مهمتهما تقديم القهوة لداى ولزوار يعيشان من مائدة الداى، وبالتالي مستوى معيشتهم أفضل من غيرهما، بل وأفضل من الحياة التي في إمكانهما توفيرها في بلدهما...، ونحن عمال الحديقة لا نتلقى من الطعام سوى صحن صغير من اللحم مع المحمصة وصحن من البرغل وقدحين من اللبن الحامض "الرايب" في اليوم، وبين الحين والحين يقدم إلينا شيء من الزيت والخبز" (كاثكارت، 1982، صفحة 26).

طعام أسرى البايك لم يكن أفضل حالا من طعام الأسرى الآخرين، إذ كان يتكون من خبز رديء النوعية إلى جانب الزيتون والخل، وكان يخصص لكل شخصين رغيفان صغيران بوزن نصف رطل مع القليل من الزيت يوميا (ستيفن، 2007، صفحة 269)، وأما فيما يتعلق بملابس الأسرى فقد كانت تختلف أيضا وكان لباس أسرى كبار الدولة يتكون من قلنوسة حمراء وقميص وصودار من الصوف وسروالين ينتهيان فوق الركبة ونعلين من النوع الرخيص (بفايفر، 1974، صفحة 16)، وبينما يلبس أسرى الداى قمصانا فضفاضة مفتوحة الأكمام وسراويل تركية واسعة وأحذية طرابش حمراء وكلها من النوع التركي (كاثكارت، 1982، صفحة 22)، وأما ملابس أسرى البايك فكانت عبارة عن قميص فضفاض من القماش وسروال داخلي وقفطان من نفس النوع والذي ينحدر إلى غاية الركبة وقبعة بيضاء وزوجين من الأحذية (قرباش، بانياوات الأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني (1830-1519)، 2013، صفحة 137).

2.1. المهن التي زاولها الأسرى الأوروبيين في الجزائر:

كان الأسرى يؤدون العديد من الخدمات والمهام لأسيادهم وأبرزها الخدمة المنزلية، مما جعلهم يعرفون باسم "الخدم"، وفي هذه الحالة كانوا يعدون رمزا من رموز الثراء لدى العائلات، ولضمان توفير هذه الخدمة في المنازل كانت الإماء² جزءا من المهر لدى بعض الأسرى، ولم تقتصر الخدمة المنزلية على الإماء فقط بل كان

¹ كاثكارت هو من مواليد 1767م وذو جنسية إيرلندية، بحيث نجد أنه ذهب إلى أمريكا مع والده للعمل في سفينة تجارية أين وقع اسير لدى الجزائريين سنة 1785م، وأسر في الجزائر أكثر من 10 سنوات، وللمزيد من المعلومات انظر: (كاثكارت، 1982، صفحة 13)

² الإماء هي جمع أمة وتعني المرأة العبيد، والتي تشتري وتباع، وفي القرآن ذكر: "ما ملكت أيمانكم" ويقصد به العبد، وللمزيد من المعلومات انظر: (حميد، 2020).

الفصل التمهيدي.....قضية الأسرى بين الجزائري وأوروبا قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر

العبيد الرجال يشاركون فيها أيضا(حماش، الأسرى في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، 2006، صفحة 754)، وفي هذا الصدد يقول كاثارت: "...أن حالة العبيد الذين يعملون في القصر أفضل من غيرهم ولكن الحقيقة هي أن الاهانات التي يتعرض لها العبيد في القصر لا تحتمل وتجعل الإنسان في بؤس وعذاب مستمر" (كاثارت، 1982، صفحة 22)، ويقول سيمون بفايفر في هذا الصدد: "...كانت وظيفتنا تتمثل في تنظيف القصر وغسله بالماء وإشعال النار في المطبخ وذبح الغنم والدجاج، وتنظيف البيوت والخضر والصحون وجميع الأدوات المنزلية، وكذلك القيام بالأعمال المنزلية كلها بصورة عامة ولم تكن أعمالنا تستغرق اليوم كله، فقد كانت هناك أوقات فراغ أو بالأحرى ساعات هادئة نقضيها في النوم فرارا من القلق إلا أن كانت لنا في بعض الأحيان أعمال كثيرة" (بفايفر، 1974، صفحة 18).

وكان الداي يعين بعض الأسرى للعمل في الثكنات، حيث كانوا يحظون بمعاملة جيدة من قبل الجنود الإنكشاريين، بينما كان الآخرون يرسلون إلى سجون (بوعلام، الحياة اليومية للأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني، 2022، الصفحات 319-320).

3.1. سوق الأسرى الأوروبيين في الجزائر:

كانت الغنائم البحرية تدار بدقة وعناية، حيث يتم احتجاز الأسرى في سجن الباشا إلى حين عرضهم للبيع في سوق النحاسية، وكان هذا السوق يعد فرصة مربحة للتجار، إذ شكل تجارة موازية تدر عليهم أرباحا كبيرة، فكانت عائدات القرصنة من الأسرى تباع أولا في مزاد بالأسواق المحلية، في سوق خاص بتجارة الأسرى يعرف باسم "البادستان" أو "البازستان"، هذا السوق كان عبارة عن ساحة مربعة الشكل تحيط بها أربعة أروقة مغطاة، يجتمع فيها الدلالون والزبائن لمعاينة الأسرى وعرضهم للبيع (بوعلام ودوحة، العائدات المالية لإفشاء الأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني، 2021، صفحة 341)، وكانت عملية فحص الأسرى تجري في الصباح قبل بيعهم، وبعد الانتهاء من هذه المعاينة في الفترة الصباحية يعرض الأسرى للبيع بعد صلاة الظهر (شوفالييه، 2007، صفحة 54).

تشكل تجارة الأسرى المسيحيين أحد مصادر الدخل الرئيسية لإبادة الجزائر فلكل أسير سعر وقيمة مادية محددة، ونظرا لأهمية هذه القضية كانت الدول الأوروبية تلجأ إلى الحلول الدبلوماسية لمعالجة هذه المسألة مع الطرف الجزائري، ولعل هذه من بين المؤتمرات الدولية التي عالجت هذه المسألة مؤتمر فيينا، ثم التوقيع في إحدى معاهداته بتحريم الاسترقاق في الجزائر (عباشي، 2023، صفحة 852)، وفي الحقيقة فإن سلبية أهداف هذا المؤتمر بالنسبة إلى الجزائر كانت سياسية واقتصادية، فتحرير العبيد المسيحيين يعرقل تطور البلاد فيهدم

الفصل التمهيدي.....قضية الأسرى بين الجزائر وأوروبا قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر

اقتصادها، وبذلك تتمكن الدول الأوروبية من فرض سيطرتها الاقتصادية والعسكرية على الجزائر (زوال، 2009، صفحة 61).

4.1. الممارسات الدينية للأسرى الأوروبيين في الجزائر:

وصف أحد الأسرى الإنجليز في كتابه عن وضعيتهم الدينية في الجزائر بغير موضوعية حيث قال: "...كل العالم المسيحي يصرخ ضد الجزائريين ومعاملتهم السيئة وأعمالهم التي تصل لحد التعذيب لتحويلهم إلى الإسلام"، كما يصف "Blake" حرية ممارسة الطقوس للأسرى المسيحيين في الجزائر بقوله: "...إن أعظم تسامح هو ذلك الذي يمتد لتأدية الطقوس الدينية في الجزائر، فأعظم الاحتفالات الأربع للكنيسة (عيد الميلاد، عيد الفصح، مولد القديس جون والعذراء) حيث تعتبر أعيادا مقدسة للأسرى واعتبرت كعطلة للأسرى، قرأنا أن مالكي الأسرى النافدين يقومون باستئجار كاهن خصيصا لراحة الأسرى الروحية، أما الملاك الآخرين فيأخذون أسراهم مرة في الأسبوع للاعتراف في الكنيسة بانتظام" (بوعلام، الحياة اليومية للأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني، 2022، صفحة 325).

كانت حرية الأسرى الأوروبيين في ممارسة معتقداتهم في الجزائر أفضل مما كان عليه وضع الأسرى المسلمين في الدول المسيحية، ففي رسالة من الداوي علي إلى أمين الدولة البحرية الفرنسية يقول: "صديقي صاحب السمو سمعت أنه إذا حدثت إهانة يقطع أذن الشخص الذي يتولى مهام الإمام في مسجد العبيد وجعله بهذا محلا للازدراء العام...لما أنه يوجد هنا كهنة في الكنائس النصرانية يجتمعون فيها من أجل حضور طقوسهم الدينية دون أن يتجرأ أحد على إزعاجهم" (بوعلام، الأوضاع الاجتماعية والدينية للأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني، 2022، صفحة 137).

5.1. الإجراءات العقابية ضد الأسرى الأوروبيين في الجزائر:

كانت هناك إجراءات عقابية ضد الأسرى الأوروبيين في الجزائر، تفرض حسب نوع الجريمة التي ارتكبتها الأسير (بن ثابت، 2008، الصفحات 39-40)، ومن أكثر العقوبات شيوعا كانت "الضرب" خاصة عقوبة "الفلقة"، ويذكر بنسترايت (Penstrait) في هذا الصدد: "...وعند القبض عليهم في حالة الهروب يتعرضون إلى الضرب بالعصا والذي يتم بطريقة لا تؤدي إلى موت الأسير إلا نادرا لأن الأسير يعتبر جزءا من ثروة سيده..." (بن ثابت، 2008، صفحة 40).

وكان الأسرى المسيحيون يتعرضون لمختلف أنواع العقوبات القاسية، حيث كانوا أحيانا يحرقون أو يوضعون على الخازوق، وإذا ارتد أحدهم عن الدين الإسلامي تكون عقوبته الامتثال في الحرق أو إلقائه من أعلى أسوار المدينة على أدوات حديدية حادة تمسك بعظامه وأضلاعه وأجزاء أخرى من جسده، مما يجعله يعاني

الفصل التمهيدي.....قضية الأسرى بين الجزائري وأوروبا قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر

لعدة أيام قبل وفاته. (بوعلام، الحياة اليومية للأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني، 2022، صفحة 323).

6.1. الوضع الصحي للأسرى الأوروبيين في الجزائر:

في أواخر القرن السادس عشر تم إنشاء مستشفيات لرعاية الأسرى خاصة أولئك الذين لم يتم افتدائهم، واستمرت هذه المستشفيات في العمل حتى نهاية القرن السابع عشر رغم انخفاض عدد الأسرى في الجزائر، وكانت الإدارة العامة لهذه المستشفيات الخمسة تقع في السجن الكبير حيث أقام المدير العام للمستشفيات ومعه الرهبان المساعدون، كما كان هناك أيضا صيدلية في السجن الكبير تزود المستشفيات الأخرى بالأدوية والأعشاب الطبية، وفي كل مستشفى كان يوجد ممرض وطباخ، بالإضافة إلى قسيس لإقامة المراسم الدينية للأسرى المرضى جميع هؤلاء كانوا من الأسرى (بوعلام، الحياة اليومية للأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني، 2022، صفحة 325).

2. الواقع المعيشي للأسرى المسلمين في أوروبا:

كان الأسرى المسلمون عموما والأسرى الجزائريون خصوصا يعانون أوضاعا شديدة التدهور في الدول الأوروبية وتعرضوا لمعاملة غير إنسانية (حماش، المصادر الوطنية عن الأسرى الجزائريين في أوروبا خلال العهد العثماني، 2012، صفحة 92)، بحيث صورت لنا المصادر التي تناولت موضوع الأسرى المسلمين في أوروبا مأساتهم (حماش، الأسرى الجزائريون في أوروبا في العهد العثماني من خلال المصادر المحلية، 2008، صفحة 13)، فحياتهم كانت جد صعبة لأنهم يتركون حريتهم ويصبحون أسرى يباعون ويشترون في الأسواق كالسلع وينتقلون من مدينة إلى مدينة في أوروبا (حماش، الأسرى الجزائريون في أوروبا في العهد العثماني من خلال المصادر المحلية، 2008، صفحة 26)، وذلك لأجل استغلال قوتهم في الأعمال الشاقة، والتي مست جميع الأسرى في كل مناطق البحر الأبيض المتوسط (قرباش، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830)، 2015-2016، صفحة 231).

فكانوا يعاملون معاملة قاسية، فتعطى لهم الأعمال الشاقة خاصة في تجديف السفن البحرية، فالأسرى الذين اخذوا من شمال إفريقيا نحو إيطاليا خلال القرنين 16-17م، كانوا يستخدمون في تجديف الغاليترات¹ (قرباش، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830)، 2015-2016، صفحة 166)، أما بالنسبة للنساء فقد منحوا لأغنياء المدينة والقيام بالأعمال المنزلية (قرباش، الأسرى الأوروبيون في الجزائر

¹ نوع من أنواع السفن البحرية كبيرة الحجم.

الفصل التمهيدي.....قضية الأسرى بين الجزائري وأوروبا قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر

خلال عهد الدايات (1671-1830)، (2015-2016، صفحة 169) وحتى العمل عند الخواص (حماش، الأسرى الجزائريون في أوروبا في العهد العثماني من خلال المصادر المحلية، 2008، صفحة 24)، وتقول الإحصائيات أنه من بين 1970 مجدف في السفن البحرية الفرنسية منهم 2040 مجدف تركي (قرباش، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830)، (2015-2016، صفحة 167).

نجد كذلك أنه قد تم استغلالهم في الأعمال المزرية، فكانوا يعملون كحراس للملاهي والحانات وحمالين وخدم في المنازل، وحفر القبور أثناء الأوبئة وعمالا لمالكي السفن (زيان، 2024، صفحة 140)، و ورشات الصناعة (حماش، الأسرى الجزائريون في أوروبا في العهد العثماني من خلال المصادر المحلية، 2008، صفحة 24)، والعمل في المناجم الإسبانية والتي نتجت عنها أمراض معدية وتدهور في صحة الأسرى (قرباش، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830)، (2015-2016، صفحة 231)، وبالنسبة للجهة الغربية من أوروبا فقد واجه المسلمون أبشع طرق القتل والتعذيب (زيان، 2024، صفحة 140).

فحتى العلماء المسلمين لم يسلموا من الأسر، وكان ثمن بيعهم جد مرتفع كالأطباء، ويمكن القول بأنهم هم الذين كانوا مطلوبين بشكل كبير، وأما الآخرين فقد تم استغلالهم كاستغلال إسبانيا للعلماء في ترجمة الكتب ونسخ المخطوطات العربية إلى لغتهم الأم كالفلسفة، الرياضيات والهندسة، وذلك ما تم فعله مع الشيخ علي بن يحيى الزواوي¹ الذي نسخ الكتب والرسائل وحتى نسخ بعض من آيات الإنجيل المحرف وذلك لأجل تعليم المسيحية للأسرى المسلمين (زيان، 2024، صفحة 141)، أما بالنسبة لأسواق بيع الأسرى المسلمين في أوروبا، فقد كانت مالطا في القرن السادس والسابع عشر أكبر سوق لتجارة العبيد، وكذلك قاموا بفتح أسواق لبيع العبيد في كل من ليفورنو وصقلية وروما وجنوة والبندقية، مما جعل إبراهيم سعيود يقول: "إن قضية الأسرى المغاربة المحجوزين في إيطاليا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر هي من اعقد القضايا الاجتماعية والإنسانية التي شهدتها التاريخ البشري خلال تلك الحقبة" (زيان، 2024، الصفحات 140-141)، كما تختلف مناطق أسر المسلمين في أوروبا باختلاف مناطق بيعهم، وكان المسلمون دائما ما يلقبون هذه المناطق بصفة عامة بأرض العدو أو أرض الكفار أو عدو الدين (حماش، الأسرى الجزائريون في أوروبا في العهد العثماني من خلال المصادر المحلية، 2008، صفحة 29)، وبالنسبة لمدة الأسر فإنها جد قليلة هذه المعلومات في المصادر المحلية،

¹ يحيى الزواوي: أسير جزائري، تم أسره في مالطا، وهو رجل مسن استعمله الراهب فرانجيسك ككاتب خاص له، للمزيد من المعلومات انظر: (زيان، 2024، الصفحات 141-142).

الفصل التمهيدي.....قضية الأسرى بين الجزائر وأوروبا قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر

لكن يمكن الإشارة بأنها كانت طويلة منهم من توفي في فترة الأسر (حماش، الأسرى الجزائريون في أوروبا في العهد العثماني من خلال المصادر المحلية، 2008، صفحة 30).

الجدول رقم (08): يوضح قائمة أسماء بعض الأسرى مع أماكن إقامتهم وأسراهم

الاسم الكامل	مكان الأسر	مدة الأسر	التاريخ
سليمان بن محمد الحرار	/	/	/
محمد الفلوكاجي	بر النصاري	7 سنوات	1111هـ/1699م
الشايب احمد بن إبراهيم الكميليو الاندلسي	أرض العدو	15 سنة	1073هـ/1663م
حسين بن مصطفى الاصبايحي	أرض عدو الدين	/	1089هـ/1678م
علي بن فرح	مالطا	/	1163هـ/1750م
علال الصباولجي ولد الطويل	الأربوة (أوروبا)	/	1155هـ/1742م
عثمان احمد ولد؟	مرسيليا	/	1112هـ/1700م
محمود بن علي بن شعوة	بلد الكفرة	28 سنة	1192هـ/1777م
حسين يولداش	/	4 سنوات	1202هـ/1788م
مصطفى الانجشايري ابن بكير	جزر الكويت	/	1222هـ/1807م
كور محمد شريف فهواجي	جنوة	5 سنوات	1202هـ/1788م
أهيج محمد التركي	/	6 سنوات	1201هـ/1787م
الحاج مصطفى خوجة	جنوة	4 سنوات	1202هـ/1788م
الحاج حمودة الحوات	/	/	1223هـ/1808م

المصدر: (حماش، الأسرى الجزائريون في أوروبا في العهد العثماني من خلال المصادر المحلية، 2008،
الصفحات 42-43).

الفصل التمهيدي.....قضية الأسرى بين الجزائر وأوروبا قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر

III. مآل الأسرى في الأسر:

1. مصير الأسرى الأوروبيين في الجزائر:

1.1. السجن:

عندما يتم إلقاء القبض على الأسرى يتم توزيعهم على عدة سجون في الجزائر، التي يطلق عليها اسم البانيوهات أو الزندانات (بليل، 2010-2011، صفحة 213)، والبانيوهات هي كلمة إيطالية كانت تكتب في البداية (Bain) وفي القرن السادس عشر أصبحت تكتب (Bagme)، قيل أنها كلمة إسبانية الأصل (Banos) وتعني الحمام، وفي البداية كان السجناء الأوروبيين يسجنون أو يحتجزون في الحمامات إلى أن كبر عددهم وحينها تم بناء عمارات خاصة لهم أطلق عليها اسم "السجن" (براهيمي، 2010، صفحة 88).

ويمكن تقسيم سجون الأسرى في الجزائر إلى نوعين سجون تابعة للدولة وسجون أخرى تابعة للخواص، ويمكن تقسيم هؤلاء الأسرى إلى ثلاث مجموعات (الملك، البايك، الخواص)، ويعتبر سجن الملك أو السجن الكبير (Grand Bagme) أول سجن تم بناءه في النصف الأول من القرن السادس عشر، ويضم العديد من الأسرى يصل عددهم إلى حوالي 2000 أسير (اخلف، 2023، الصفحات 425-428)، وهذا السجن يحوي الأسرى المهمين فقط مثل: الأب برناند دو مونروي (Bernard de Monrony)¹ والأب غراماي (Granaye)² (بوعلام، الحياة اليومية للأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني، 2022، صفحة 319).

وأما السجن الثاني سجن الباستارد (La Bastarde) وهو ثاني سجن تم إنشائه في عهد خير الدين بربروس، ويطلق على أسرى هذا السجن أسرى البايك أو عبيد المخزن، والسجن الثالث هو سجن سانت كاثرين (Sainte Catherine) ولا يوجد أي معلومات حوله (براهيمي، 2010، صفحة 428)، وتكون فئة هذا السجن مميزة ومحظوظة من حيث المعاملة (عماروش وعصماني، 2021، صفحة 20)، ويشكلون ربعا ماديا نتيجة تحريرهم مقابل فدية كبيرة (اخلف، 2023، صفحة 424)، وبالنسبة لسجن الخواص أشهر سجونها سجن علي تبشين الذي يحمل حوالي 500 أسير (اخلف، 2023، صفحة 429)، وكان يقيم في هذا السجن كل الأسرى التابعين لغليوطاته، ومن مهام هؤلاء الأسرى الاشتغال في مزارع أسيادهم، وبعضهم كان السجن مجرد مرقد فقط لهم،

¹ الأب برناند دو مونروي: هو أحد الرهبان الثالوثيين الذين كلفوا بمهمة إهداء الأسرى، ووقع أسير في يد الجزائر، وبقي في السجن لمدة ثلاث سنوات، وللمزيد من المعلومات انظر: (براهيمي، 2010، صفحة 427).

² الأب غراماي: هو من أصل هولندي ولد سنة 1579م، مؤرخ دبلوماسي وجغرافي، كلفه بابا روما بمهمة التفاوض مع العديد من الجهات، أسر من خلالها، وللمزيد من المعلومات انظر: (براهيمي، 2010، صفحة 427).

الفصل التمهيدي.....قضية الأسرى بين الجزائر وأوروبا قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر

بحيث ينامون في الليل فيه وفي النهار يسمح لهم بثلاث ساعات يوميا بممارسة كل أنواع السفالات لأجل تزويد أنفسهم بقوتهم مع إعطاء حصص ونسب لأسيادهم (بوعلام، الأوضاع الاجتماعية والدينية للأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني، 2022، الصفحات 133-135)، بحيث تنقسم هذه الفئة لقسمين هما:

← الأولى: تشتري من قبل أشخاص عاديين لخدمة منازلهم وحدائقهم وتتوقف معاملتهم حسب أسيادهم؛

← الثانية: تشتري من قبل التجار الأندلسيين الفارين من إسبانيا.

وعليه سنقوم بعرض الجدول التالي:

الجدول رقم (09): يوضح أنواع العبيد في الجزائر

عبيد الملك "الداي"	عبيد الخواص "الأفراد العاديين"
← الشراء من قبل الحكومة الجزائرية؛	← الشراء من قبل أشخاص عاديين ومن سكان
← الاستقرار في العاصمة؛	الريف لأجل القيام بأعمالهم؛
← يخدمون عظماء الحكومة الجزائرية.	← القيام بالأعمال المنزلية والحدائق.

المصدر: (عماروش وعصماني، 2021، صفحة 20).

2.1. التحرر:

هناك فئة من الأوروبيين المسيحيين فضلوا الاندماج في المجتمع الجزائري الإسلامي واعتناق الدين الإسلامي، وذلك لأجل تحسين ظروفهم المعيشية، ويطلق على هؤلاء المسلمين الجدد بالمرتدين (عماروش و عصماني، 2021، صفحة 25)، وقد نال الكثير منهم الحرية بعد اعتناقهم للإسلام، لأنهم رأوا سماحة هذا الدين، وكذلك نجدهم يتصرفون بالعدالة وقد حصلوا على أهم وأعلى الوظائف في الدولة والجيش وأصبحوا ذا شأن مثل: حسن آغا بن خير الدين¹، على علج²، حسن فنزيانو.

¹ حسن آغا بن خير الدين: هو الحاكم الثالث للجزائر، أسره خير الدين بربروس من ضواحي سردينيا وهو طفل صغير ورباه في منزله كابنه، وعين قائدا عاما لقوات خير الدين ومدبرا لجميع أملاكه، وعين خلفا لأبيه في الحكم، وللمزيد من المعلومات انظر: (عماروش وعصماني، 2021، صفحة 106).

² علي علج: ولد في قرية ليكاتولي في كلابريا حولي سنة 1508م، توجه لدراسة الكهنوت لكنه وقع أسير سنة 1520م، وعمل في مجدفا في إحدى غليوبات علي أحمد، فقتل شخص كان يعمل معه قيل إنه اعتنق الإسلام للخلاص من الموت، وللمزيد من المعلومات انظر: (عماروش وعصماني، 2021، صفحة 111).

الفصل التمهيدي.....قضية الأسرى بين الجزائر وأوروبا قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر

الجدول رقم (10): يمثل الأسرى المسيحيون المعتنقون للإسلام بين الفترة (1018هـ/1609م) و(1028هـ/1619م)

الجنسيات	ألمانيا	انجلترا	فرنسا	هامبورغ	الدنمارك	هولندا	بولونيا	بلجيكا
العدد	867	300	130	138	60	60	250	130

المصدر: (دياب، 2018، صفحة 44).

3.1. الهروب:

يعتبر الهروب وسيلة من وسائل الحصول على الحرية، وهي وسيلة جد خطيرة، واختلفت وسائل وطرق الهروب منها الهروب نحو مدينة بجاية ووهران، فيأتي بعض الأشخاص الأوروبيين بقواربهم الصغيرة مرتدين الألبسة المحلية لكيلا يكتشفون أمرهم، ويحددون موعد مع هؤلاء الأسرى للهروب وتبقى هذه الطريقة فيها مخاطرة (محمدة، 2011-2012، صفحة 32)، كذلك نجد الهروب نحو السفن الراسية بالميناء وفي حالة نجاح هروبه لا يفرض على دولة الأسير أن تدفع فديته (قرباش، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830)، 2015-2016، الصفحات 205-206).

4.1. إفتاء الأسرى:

نجد عدة طرق لإفتاء الأسرى الأوروبيين في الجزائر منها:

1.4.1. الإفتاء الذاتي: كان هذا الفداء رائج كثيرا في الجزائر خاصة عند أولئك الأسرى التابعين لكبار الشخصيات، بحيث يستطيع الأسير جمع أموال فديته (قرباش، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830)، 2015-2016، الصفحات 204-206).

2.4.1. منظمات الفدية الدينية:

أ) منظمة الثالوث المقدس (Trinitarian):

تأسست سنة (594هـ/1198م) وهي أكبر منظمة دينية مسيحية لافتداء الأسرى والأكثر نشاطا في العالم الإسلامي، حيث تأسست على يد القديس جون دوماتا (John De Mata) وفليكس دوفالو (Felix Du Valo) (قرباش، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830)، 2015-2016، الصفحات 188-189).

ب) منظمة سيدة رحمة (Mercedarian):

يعتبر مؤسسها الحقيقي هو القديس بيتر نولاسكو (Peter Noasco)، وتأسست عام (615هـ/1218م) في برشلونة (قرباش، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830)، 2015-2016،

الفصل التمهيدي.....قضية الأسرى بين الجزائر وأوروبا قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر

الصفحات 188-189)، ويطلق عليها كذلك اسم آباء الرحمة (بوعلام ودوحة، العائدات المالية لإفشاء الأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني، 2021، صفحة 340).

نجد كذلك منظمات أخرى نشطت في الجزائر مثل: منظمة الأزريست (Al-azrist)، وحتى منظمة الكابريشين (Capuccini) التي ظهرت سنة (926هـ/1520م) (قرباش، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830)، 2015-2016، الصفحات 191-192).

ج) الإفشاء عن طريق المعاهدات:

عقدت الجزائر العديد من المعاهدات مع الدول الأوروبية، وتضمنت هذه المعاهدات السياسية بنود متعلقة بالأسرى، وسنذكر الآن بعضا من هذه المعاهدات:

← معاهدة السلم بين فرنسا والجزائر الموقعة في 24 أبريل 1684م: حيث نجد في البند الرابع ينص على ضرورة تبادل الأسرى بين البلدين، والبند الثامن ينص على ضرورة إعادة كل الأسرى الفرنسيين الذين أسروا من قبل أعداء فرنسا واخذوا إلى الجزائر، أما البند التاسع نص على ضرورة جمع الأسرى الفرنسيين في الجزائر في مكان واحد وكذلك الأسرى الجزائريين في فرنسا؛

← المعاهدة الجزائرية الإنجليزية الموقعة في عام (1093هـ/1682م): حيث نجد البند الثاني عشر يتكلم أنه ومنذ يوم توقيع هذه المعاهدة لن يتم بيع أو شراء أو استعباد أي شخص من الرعايا الانجليز في الجزائر (قرباش، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830)، 2015-2016، صفحة 196)؛

← المعاهدة الجزائرية الإسبانية الموقعة في عام (1200هـ/1786م): التي نصت على ضرورة تبادل الأسرى المتواجدين في البلدين (قرباش، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830)، 2015-2016، صفحة 196).

د) الحملات البحرية:

قامت العديد من الدول الأوروبية بشن حملات على الجزائر، فمنها من باءت بالفشل ومنها من استطاعت النجاح في تحرير الأسرى (قرباش، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830)، 2015-2016، صفحة 196).

5.1. الجوسسة:

لعبت فئة الأسرى دورا مهما في عملية التجسس، حيث قدموا معلومات مفصلة حول الجزائر، ما ساهم في

الفصل التمهيدي.....قضية الأسرى بين الجزائري وأوروبا قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر

تشجيع القوى الأوروبية على غزوها، واستغل الحكام الأوروبيون خلال العهد العثماني وجود الرهبان والجواسيس لجمع بيانات دقيقة عن الأوضاع السياسية والعسكرية (دباب، 2018، صفحة 45).

ويمكن إبراز دور الأسرى المسيحيين في التأثير على العلاقات الخارجية للجزائر من خلال التقارير السرية الإسبانية التي تضمنت معلومات حول الأوضاع في الجزائر، وما جاء فيه: "...وهذه أنباء وردت عليها من مدينة الجزائر، نقلها لنا ستة من العبيد المسيحيين الذين أمكنوا من الفرار يوم 27 فيفري وغادروا الجزائر فوق فلك ووصلوا إلى الجزائر...يوجد الآن في مدينة الجزائر ألفان من الأتراك، وسبعة أو ثمانية آلاف من مهاجرين الأندلس في مدن الجزائر...وأخبرنا الأسرى المذكورون أن الأمطار الغزيرة التي انهمرت في فصل الشتاء قد هدمت سور المدينة في ثلاث جهات..." (المدني، 2006، صفحة 258).

2. مصير الأسرى المسلمين في أوروبا:

نجد أن مصير الأسرى الأوروبيين في الجزائر يختلف نوعا ما عن مصير الأسرى المسلمين بأوروبا، رغم وجود تشابه في بعض الممارسات إلا أن مصير الأسرى المسلمين كان تعسفي أكثر من الأوروبيين في الجزائر، وأبسط شيء أنهم كانوا يحرقون أسمائهم ويشيرون إليهم بمجرد أرقام مثل: اسم قاسم الجزائري بن محمد كان يكتب كالاتي Casson d'alger fils de Mohammad (حماش، الأسرى الجزائريون في أوروبا في العهد العثماني من خلال المصادر المحلية، 2008، صفحة 27).

فكانت حياتهم الاجتماعية صعبة جدا، حيث ذكر الباحث نبيل مطر عن أسر الآلاف من الأسرى المسلمين في أوروبا كانوا ينتقلون من إنجلترا إلى فرنسا ومن إيطاليا إلى مالطا، وكان مصيرهم إما الموت أو التنصير أو الهروب أو فدية بعضهم (حماش، الأسرى الجزائريون في أوروبا في العهد العثماني من خلال المصادر المحلية، 2008، صفحة 40)، وهذا ما سنتطرق إليه الآن:

1.2. الافتداء:

عند أسر المسلمين في أوروبا كان مصير بعض منهم أن بلغتهم المنية، والبعض الآخر تم تحريرهم بعدة طرق منها تبادل الأسرى بين الجزائريين والأوروبيين مثل ما حدث في عام (1102هـ/1690م) عندما تم تبادل الأسرى بين فرنسا والجزائر (قرباش، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830)، 2015-2016، صفحة 169)، وكان الجزائريين يشترون الأسرى الأوروبيين في الجزائر لأجل التبادل بين الأسرى الجزائريين والأوروبيين (حماش، الأسرى الجزائريون في أوروبا في العهد العثماني من خلال المصادر المحلية، 2008، صفحة 41)، وتم الاتفاق بين فرنسا والجزائر على معاهدة (1037هـ/1628م) نصت على تبادل الأسرى بين البلدين (محمد الجيلالي، 1994، صفحة 127)، وهناك أيضا طرق أخرى لافتداء الأسرى فعند احتلال نابليون

الفصل التمهيدي.....قضية الأسرى بين الجزائر وأوروبا قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر

لما لطا في (1213هـ/1798م) قام بتحرير 2000 مسلم كانوا يعملون على متن السفن (قرباش، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830)، 2015-2016، صفحة 169)، فيذكر خليفة حماش في مقاله عن الأسرى الجزائريون في أوروبا عن طرق أخرى للخدمة منها جمع التبرعات (الأموال) من قبل فقراء الحرمين الشريفين والمساجد والجوامع... لأجل فدية الأسرى وأيضا افتداء العائلات لأسراهم (حماش، الأسرى الجزائريون في أوروبا في العهد العثماني من خلال المصادر المحلية، 2008، صفحة 39).

2.2. محاولة تنصيرهم:

قام البابا بول الثالث بإنشاء (Casa Du Cataimen) سنة (950هـ/1543م)، مهمتها تعليم وتحضير المسلمين لدخول المسيحية عن طيب خاطر، وأصدر البابا بيوس الرابع براءة بابوية جديدة نصت على إنشاء بيت جديد لتنصير الأسرى المسلمين وتم تسمية هذا البيت ببيت الدير (Casa Monastro) وتم تخصيصه لأجل النسوة اللواتي تم تنصيرهن (قرباش، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830)، 2015-2016، صفحة 285).

نجحت الكنيسة في تنصير 308 تركي بفلورنسا بين سنتي (1007هـ/1599م) و(1136هـ/1724م) منهم 183 رجل و125 امرأة، ولم يكن تعميدهم (تنصيرهم) مفروض في فرنسا، ونفس الشيء كان يحدث في إسبانيا مع المغربيين والمورسكيين، بحيث كانوا يريدون تحويل دينهم من الإسلامي للكاتوليكية، وكان هدفهم الأساسي هو تعميد الأطفال وهذا ما تم تقريره في مجلس الدولة الإسبانية في عام (1018هـ/1609م)، حيث أن كل الأطفال الذين لم يتجاوز عمرهم 10 سنوات يتم إدخالهم إلى الكنيسة لأجل تعليمهم المسيحية من طرف الرهبان، ومن بين المغاربة الذين تم تهجيرهم من أليكانت والأندلس في عام (1018هـ/1609م) فقدت العائلات 14000 طفل أخذوا لتنصيرهم (قرباش، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830)، 2015-2016، الصفحات 286-287).

الجدول رقم (11): يمثل جنسيات الأسرى المعمدين في إيطاليا بين الفترة (1183هـ/1769م)

و(1212هـ/1798م)

المنطقة	الفترة ما بين (1769م-1798م)
القسطنطينية	06
الأناضول	01
مصر، سوريا	02

الفصل التمهيدي.....قضية الأسرى بين الجزائر وأوروبا قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر

اليونان	03
كروانيا	04
الجزائر	08
تونس	19
طرابلس	03
المغرب	02
أمريكا	03

المصدر: (قرباش، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830)، 2015-2016، صفحة 288).

3.2. طول مدة الأسر وأثرها:

بسبب طول مدة أسر المسلمين في الدول الأوروبية، حدثت مأساة حقيقية تمس كل من الأسير وعائلته، لأن الأسير في تلك الفترة يطلق عليه اسم "مفقود" (حماش، الأسرى الجزائريون في أوروبا في العهد العثماني من خلال المصادر المحلية، 2008، صفحة 32)، فعندما يعود لوطنه بعد مدة زمنية طويلة جدا فإنه يجد زوجته قد طلقت منه وأملاكه تم أخذها من طرف أقاربه وحتى وفاة بعض من أهلهم، ومثال ذلك عن الطلاق نجد محمود بن علي بن شعوة الذي تم أسره لمدة 28 سنة وعند رجوعه للجزائر في عام (1192هـ/1778م) وجد زوجته قد طلقت منه (حماش، الأسرى الجزائريون في أوروبا في العهد العثماني من خلال المصادر المحلية، 2008، الصفحات 33-34).

4.2. الوفاة في الأسر وأثرها:

بينت لنا بعض المصادر أن سبب وفاة الأسرى في الأسر لاشك أنه يعود للحياة المأساوية والصعبة، ومن كثرة الأمراض المعدية التي مست الأسرى بشكل عام، ومثال على ذلك وفاة الأسير علي بن أحمد بلكباشي في عام (1079هـ/1668م)، الذي لم يعيش في أرض الكفار سوى 8 أشهر، ومن آثار الوفاة في الأسر، عند وفاة أحد من أفراد عائلته (ورثته)، فإن هذا يؤدي إلى إعطاء كل ممتلكات هذا الأسير الأقربون، مثال على ذلك أنه قد ذكر خليفة حماش في مقاله عن وجود أسير لم يتم ذكر اسمه توفيت أمه المدعوة الجوهر وجاء أحد الأقارب لها بالرغم بأن ابنها المأسور قد توفي وهذا لأجل أخذ ميراثه (حماش، الأسرى الجزائريون في أوروبا في العهد العثماني من خلال المصادر المحلية، 2008، صفحة 36).

الفصل التمهيدي.....قضية الأسرى بين الجزائر وأوروبا قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر

استنتاج الفصل:

ومن خلال ما تم التطرق إليه من قبل، يمكن القول أن:

طرق الأسر قبل عام (1246هـ/1830م) تعكس الصراعات التي كانت بين الجزائر والدول الأوروبية، حيث اعتمدت الجزائر بشكل أساسي في الأسر على الجهاد البحري والهجوم على السفن في عرض البحر، بينما لجأت الدول الأوروبية إلى أسر الجزائريين من خلال الحملات العسكرية والهجمات على السواحل الجزائرية، أما بالنسبة لحياتهم ومصيرهم فإنها مختلفة، فالأسرى الأوروبيون الذين حظوا بفرص الفداء أو الاندماج وآخرون خضعوا للأشغال الشاقة، في حين واجه الأسرى الجزائريون في أوروبا معاملة أكثر قسوة من الأوروبيون فتعرضوا للإهانات والسجن، فكان مصير الأسرى يتمثل في الفداء أو الموت أو التجنيس.

كما كان ملف الأسرى بين إيالة الجزائر من جهة وأوروبا عامة وفرنسا بشكل خاص من جهة أخرى أهم أوراق التفاوض وإبرام الاتفاقيات بين الجانبين. خاصة إذا تعلق الأمر بأسر نوعين من أمراء وقادة عسكريين أو سياسيين أو أبناء الأرستقراطية والغنية من الجانبين.

وعمليات الأسر كانت تمثل لدى جميع الأطراف في هذه المرحلة أهمية بالغة بالإضافة إلى ما ذكر، حيث كان يعتمد على الأسرى في الحروب والسخرة خاصة الملاحقة البحرية ونقل الخبرات والعلوم.

الفصل الأول:

الأسرى الجزائريون لدى فرنسا

تمهيد الفصل:

شهدت مرحلة المقاومة الشعبية المسلحة ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر أحداثا حاسمة لم تكن المواجهة فيها مقتصرة على المعارك فحسب، بل امتدت إلى مصائر من وقعوا في قبضة المستعمر، لقد شكل الأسر إحدى الواجهات الخفية لهذا الصراع، بطرق متعددة تمت مطاردة المقاومين واعتقالهم بعدة أساليب وبعد وقوعهم في الأسر بدأت سلسلة من الإجراءات المتنوعة مارستها فرنسا، وهذا ما سوف ندرسه في هذا الفصل من خلال التطرق إلى:

I- إستراتيجية وطرق القبض على الأسرى الجزائريين.

(1) طرق وأساليب الأسر.

(2) إجراءات فرنسا في التعامل مع الأسرى.

II- النفي والتهجير القسري للجزائريين:

(1) تعريف النفي والإبعاد.

(2) النفي إلى غويانا.

(3) النفي إلى كاليدونيا الجديدة.

1. إستراتيجيات وطرق القبض على الأسرى الجزائريين:

خلال فترة المقاومة الشعبية اعتمد الاحتلال الفرنسي طرقا متعددة لاعتقال الأسرى، لم تكن دائما واضحة أو موحدة، كان الاعتقال يحدث في أماكن وأوقات مختلفة ترافقه إجراءات مختلفة، وكان التعامل يتسم هو أيضا بطرق مختلفة يصعب في كثير من الأحيان تحديد طبيعتها بدقة، ما يجعل فهم هذه الإستراتيجية يحتاج إلى دراسة وتدقيق في التفاصيل والظروف.

1. طرق وأساليب الأسر:

لقد تم القبض على الأسرى الجزائريين من قبل السلطات الفرنسية باستخدام عدة طرق وأساليب، وكثيرا ما كانت وحشية وتعسفية، ونذكر منها:

1.1. الأسرى في ساحات المعركة:

وذلك من خلال الاشتباكات المباشرة، كان يتم القبض على الجزائريين مثل: ما حصل في معركة زرزور بتاريخ 26 فيفري (1288هـ/1871م) بين قبيلة أولاد عدون¹ والسلطات الفرنسية والمستوطنين، حيث تم أسر 400 رجل من هذه القبيلة (الفرحي، 2007، صفحة 79)، كما تم أسر 360 شخص بتاريخ 11 نوفمبر (1259هـ/1843م) في منطقة الواد المالح بعد معركة وقعت بين جنود الجنرال طمبور (Tampoure) ومحمد بن علال خليفة الأمير عبد القادر (عيساوي وشريحي، 2011، صفحة 107)، وبعد احتلال الجيش الفرنسي المدينة بقيادة الجنرال كلوزيل (Closeil) في 4 أفريل (1252هـ/1836م)، قاموا بقتل وتعذيب سكان هذه المنطقة وأخذ عدد من الأسرى ولم يتم التفريق، حيث تم أسر النساء والأطفال والشيوخ (الفرحي، 2007، صفحة 41).

بعد معركة 19 ماي (1298هـ/1881م) بمنطقة المويلك الواقعة بالقرب من قصر الشلالة بمرتفعات القصور بين قوات الجنرال كولينو والشيخ بوعمامة، جاءت فرنسا منتقمة من سكان هذه القرية بعد خسارتها بشن هجوم عليهم وأخذ عدد من الأسرى (ولد الحسين، 2010، الصفحات 24-25)، وتم أسر العديد من سكان مدينة الأغواط بعدما تمكنت فرنسا من احتلالها بتاريخ 15 ديسمبر (1268هـ/1852م) (الفرحي، 2007، صفحة 67)، كما تم أسر لالة فاطمة نسومر² بتاريخ 7 جويلية (1273هـ/1857م) بقرية تاخليحت آت أسطو، بعد معركة وقعت في آيت إيرتن (ولد الحسين، 2010، الصفحات 21-22)، وفرضت عليها الإقامة الجبرية إلى أن توفت سنة (1273هـ/1863م) بمرض العضال (الفرحي، 2007، صفحة 69)، كما لا يخفى أنه بعدما تم حصار

¹ هي قرية واقعة في ولاية مليلة، للمزيد من المعلومات انظر: (الفرحي، 2007، صفحة 79).

² لالة فاطمة نسومر هي بنت سيدي محمد بن عيسى ولالة خديجة، ولدت سنة 1830م بقرية ورجة في عين الحمام ولاية تيزي وزو، تعلمت مبادئ القتال وناضلت لأجل وطنها ولها دور كبير في خسارة العدو في العتاد والأرواح، وللمزيد من المعلومات أنظر: (الفرحي، 2007، الصفحات 68-69).

الفصل الأول.....الأسرى الجزائريون لدى فرنسا

واحة الزعاطشة وقام الاحتلال بإبادة ما يزيد عن 1500 قتيل قام بعض الجنود بمطاردة الذين لم يستطيعوا الفرار وأخذهم كأسرى (فيلاي، 2012، صفحة 44).

سعت فرنسا بكل جهدها للوصول إلى أهم القادة والمناضلين والقبض عليهم، واستطاعت الوصول إلى بعض منهم والقبض عليهم كأحمد بومرزاق في أوائل سنة (1289هـ/1872م)، وأيضا القبض على المجاهد والمقاوم محمد فيالة وصديقه المجاهد الحسين بن أحمد المعروف باسم مولاي الشفقة وأسرهم، وهذا بعد القيام بعدة معارك ضد قوات الاحتلال، وتم أخذهم إلى مراكز التعذيب (الفرحي، 2007، الصفحات 81-82)، وحتى ناصر بن شهرة¹ الذي وقع أسير لدى السلطات الفرنسية بعد عدة معارك خاضها ضدهم (الفرحي، 2007، صفحة 66).

2.1. الأسرعن طريق الملاحقة والتطويق:

استخدمت القوات الفرنسية أساليب المضايقة والتعقب في الجبال وخاصة المناطق الريفية في إلقاء القبض على أسراها، فنجد أنها قد استطاعت إلقاء القبض على بوزيان القلعي في 16 أكتوبر (1292هـ/1875م) في الجبل، وتم البحث عنه بصفته مقاوم ضد فرنسا وحكم عليه بالإعدام بتاريخ 17 ماي (1293هـ/1876م)، وتم تطبيق الحكم بتاريخ 20 جويلية (1293هـ/1876م)، وكما تم إلقاء القبض وأسر البشير أرزقي بنفس الطريقة في الجبل بتاريخ 24 ديسمبر (1312هـ/1894م)، بشير كان يعمل كبناء، لكن تم اتهامه بالسرقة فهرب للجبل وكون عصابة، تم الحكم عليه بالإعدام، وطبق بتاريخ 14 ماي (1312هـ/1895م) (ولد الحسين، 2010، صفحة 42).

3.1. الأسرعن طريق الجواسيس والخونة:

اعتمدت السلطات الاستعمارية على المخبزين المحليين والمتعاونين معها لتحديد موقع بعض الزعماء أو الجماعات المتمردة، وذلك لسهولة اعتقالهم مثل: ما فعل الخائن الشيخ ابن فراح الذي ذهب مسرعا بفرسه إلى الدوق دومال (D'oumale) مخبرا إياه عن مكان الزمالة، والتي كانت عند نبع طاقين في جنوب بوغار، فأمر الدوق جنوده بلبس برانيس حمراء كالتي يرتديها فرسان الأمير، وعندما رأى السكان هؤلاء الجنود ظنوا أنهم جنود الأمير فخرجت النساء مستقبليين إياهم بالزغاريت فارحين بقدمهم، لكن المفاجئة كانت كبرى حيث تم إطلاق النار عليهم والقيام بمجزرة تامة (عيساوي وشريحي، 2011، صفحة 100)، وألقي القبض على 3601 أسير حيث تم نقلهم إلى الجزائر بصعوبة تامة، وتم تقسيمهم إلى قسمين الأول مهم وحظي بالاحترام وبلغ عددهم 126 رجل

¹ ناصر بن شهرة: ولد سنة 1804م في ورقلة، أحد المناضلين ضد الاحتلال الفرنسي، دامت مقاومته حوالي ربع قرن (1851م-1875م)، للمزيد من المعلومات انظر: (الفرحي، 2007، صفحة 65).

الفصل الأول.....الأسرى الجزائريون لدى فرنسا

و136 امرأة و43 طفل و72 طفلة ليصبح عددهم 377 أسير، أما القسم الثاني فبلغ عددهم 3224 أسير من بينهم 450 رجل و1422 امرأة و1352 طفل من الجنسين (Xavier, s.d, p. 418).

كذلك أسر الشريف بن عبد الله بعدما تم إلقاء القبض عليه من طرف سي حمزة ولد سيدي الشيخ، حيث تواجهها مواجهة عنيفة بسببها ألقى القبض عليه، وتم تسليمه إلى السلطات الفرنسية (بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، 2009، صفحة 63).

4.1. الأسرعن طريق الكمائن والحيل والمفاوضات الكاذبة:

تم إلقاء القبض على بعض قادات المقاومة بالخدع والحيل، وعرض عليهم المفاوضات ومقابلتهم بالخيانة مثل ما فعلوه مع الأمير عبد القادر، حيث تم وضع اتفاق بين الأمير عبد القادر والجنرال لامورسير (Lamorivère) تفاوضا من خلاله عن إنهاء الحرب فيما بينهم، ومن أهم الشروط التي تم وضعها هي أن تقدم الحكومة الفرنسية ضمانات وتعهيدات للأمير بأن تترك له وأتباعه حرية الهجرة إلى الإسكندرية أو إلى عكا بفلسطين (سلطانة، 2010، صفحة 307)، فجاء في رسالة قدمها الجنرال لامورسير (Lamorivère) يقول فيها: "...يكفيني أن أشير لكم بأني وعدت فقط بأن يجري اقتياد الأمير وعائلته إلى عكا أو الإسكندرية، هذان هما الموضعان اللذان أشرت إليهما، فهما اللذان كان قد حددهما في طلبه، وو افقت عليهما...", بعد هذا الاتفاق وقبول الطرف الفرنسي لشروط الأمير قام بالأمير بتقديم حصانه كهدية لدوق دومال (D'oumale) وإعطاء دومال (D'oumale) بندقيته وساعته كدليل على الأمان، فركب الأمير وأتباعه باخرة لاسمودسي بتاريخ 24 ديسمبر (1263هـ/1847م) على أمل أن السفينة متجهة نحو الإسكندرية لكنها رست في ميناء طولون الحربي جنوب فرنسا بتاريخ 29 ديسمبر (1263هـ/1847م) (موسم، 2022، صفحة 132)، وبعد أن أجبر الأمير على النزول في فرنسا قال: لو كنا نعلم أن الحال يؤول إلى ما آل إليه لم نترك القتال حتى تقتضي منا الأجل (بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، 1983، صفحة 69).

5.1. الأسرعن طريق مهاجمة المراكز الفرنسية (الدرك، الشرطة):

استهدف المناضلون بشكل خاص المراكز العسكرية المنتشرة في البلاد بكثرة، فاعتمد المناضلون على أسلوب الكر والفر وشن هجومات على الثكنات، ومن هذه الهجومات كثيرا ما كان يقع هؤلاء المناضلين في الأسر مثل: ما وقع مع محمد بن تومي بوشوشة في 25 جويلية (1290هـ/1873م) بعد مهاجمته لأحد المراكز بضواحي منطقة المنبوعة (الفرجي، 2007، صفحة 82).

الجدول رقم (12): يوضح كيفية أسرهم الشخصيات

الاسم	المقاومة	كيفية الأسر	المصير
الأمير عبد القادر	مقاومة الأمير عبد القادر	سلم نفسه	النفي إلى فرنسا

الفصل الأول.....الأسرى الجزائريون لدى فرنسا

الشيخ بوزيان	ثورة الزعاطشة	الأسرى في معركة	الإعدام رميا بالرصاص
عزيز حداد	ثورة المقراني	سلم نفسه	النفي إلى كاليدونيا
بومرزاق المقراني	ثورة المقراني	الأسرى في معركة	النفي إلى كاليدونيا

المصدر: من إعداد الطالبتين.

2. إجراءات فرنسا في التعامل مع الأسرى:

1.1. المحاكمات:

تم إنشاء محاكم استثنائية في الجزائر من طرف السلطات الفرنسية بعد الاحتلال، وبدأ استخدامها بشكل واسع ابتداء من سنة (1261هـ/1845م)، وذلك بقرار من الحاكم العام الجنرال بيجو (Bougeaud)، حيث تمثلت هذه المحاكم في لجان عسكرية أو محاكم خاصة ولا تتبع الإجراءات القضائية العادية، وجاءت هذه المحاكم لقمع المقاومات الشعبية (بن عمارة ولونيسي، 2022، صفحة 1025)، وكانت موجودة في 3 محافظات (الجزائر، قسنطينة، وهران) (Ouennoughi, 2006, p. 54) فالمستوطنين هم الذين احتلوا مقاعد المحلفين، فبلغ التعصب والتعسف بهم إلى تسليط أشد أنواع العقوبات عليهم، حيث قال الجنرال سيراز (Siraze): "أننا لسنا في حاجة إلى أن نحاكم أولئك المتمردين، بل نحن بصدد عملية تصفية وتطهير"، فكانت معظم أحكام هذه المحاكم إما الإعدام أو النفي خارج الجزائر والسجون الفرنسية (عيساوي وشريحي، 2011، صفحة 159). كما لا يمكن معاملة وحكم المعتقلين الفرنسيين مثل المعتقلين الجزائريين لأنه وبحسب رأيهم أن تعصبهم وعقليتهم تعارض ذلك، ولذلك يجب معاملتهم بشكل تعسفي (Gilbert, 1909, p. 7)، ويؤكد محامي سي عزيز الحداد ليون سيرور (Léon Seror) في تقديم مذكرات سي عزيز أن المحاكم كانت ظالمة، وأن السكان الأصليين كانوا ضحايا صامتين دائمين في هذه المحاكم (Ben Mohammed, 1873)، ومن أهم التهم التي كانت تنسب لهؤلاء الضحايا هي السرقة، التخريب، النهب، الحرق، القتل، واستنادا على المواد رقم 91، 96، 434، 442، 295، 296، 297، 302، 304 من قانون العقوبات اعتمدت فرنسا في فرض العقوبات (بلعيد ولرباس، 2024، صفحة 74)، ونجد العديد من الأشخاص الذين تم إلقاء القبض عليهم وتمت محاكمتهم على أساس أنهم قاموا بتوزيع الأسلحة على الشعب وتحريضهم ضد الفرنسيين (Ben Mohammed, 1873, p. 3)، ومن هؤلاء الذين نسبت إليهم التهم نذكر شيخ قبيلة ربيعة، بن سيدي غانم الذي هرب من مجزرة العوفية، والذي أسر وتمت محاكمته محاكمة صورية، وحكم عليه بالإعدام ونفذ في 19 أفريل (1832هـ/1832م)، وقيل إنه توجد أدلة تبين برأته لكن دون جدوى، وتم قطع رأسه وتجولوا به أمام باب عزون (عيساوي وشريحي، 2011، صفحة 48).

كذلك اتهموا أحمد أو سعيد عبدون بالقتل وتمت محاكمته كغيره من الجزائريين محاكمة مصطنعة وحكم عليه بالإعدام في (1301هـ/1884م)، ثم خففت عقوبته إلى السجن في كايان، واستطاع الفرار من السجن ورجع

الفصل الأول.....الأسرى الجزائريون لدى فرنسا

إلى الجزائر (1306هـ/1889م)، وقام بقتل الشخص الذي وجه إليه التهمة، ثم حكم عليه بالإعدام في 5 فيفري (1313هـ/1895م)، ونفذ في 14 ماي (1313هـ/1895م) (ولد الحسين، 2010، صفحة 43)، الشريف بوشوشة هو الآخر الذي أعدم رميا بالرصاص بعد إصدار حكم من قبل محكمة الجنايات في 29 جوان (1292هـ/1875م) بمعسكر الزيتون (بولعشار وجفال، 2024، صفحة 328).

بعد انتفاضته (1288هـ/1871م) تم تحويل المتهمين وعلى رأسهم عائلة الحداد والمقراني إلى محكمة الجنايات بقسنطينة في (1289هـ/1872م)، وتم اتهامهم بأنهم يحرضون على المشاغبة وأعمال العنف (Ouenoughi, 2006, p. 54)، وواجهت هذه المحكمة هؤلاء الثوار بأجواء مشحونة بالحقد، بالمصرة بإنزال أقصى العقوبات بهم لإشفاء غليل المستوطنين الأوروبيين (فايد، 2017، الصفحات 156-157)، وجاء الحكم كالتالي: بومرزاق المقراني الإعدام في 27 مارس (1290هـ/1873م)، ثم تم تخفيف الحكم عنه إلى السجن المؤبد والترحيل إلى كاليدونيا الجديدة بتاريخ 23 أكتوبر (1290هـ/1873م)، وهذا بفضل مجهودات محاميه غريقي، وهو عضو من أعضاء البرلمان الذي حضر خصيصا لأجل بومرزاق المقراني (بلعدي ولرباس، 2024، الصفحات 75-76)، وحكم على الشيخ الحداد بسجن فردي لمدة 5 سنوات، الحكم بالسجن الفردي لمحمد الحداد لمدة 10 سنوات، ثم استبدل بالنفي، والحكم على سي عزيز الإعدام، لكن تم تغيير هذا القرار بسبب امتلاكه وسام الشرف (فايد، 2017، صفحة 161)، بحيث يقول سي عزيز: "أن الذين شهدوا ضده في المحكمة ما هم إلا خونة" (Ben Mohammed, 1873, p. 97)، جاء كذلك قرار بمصادرة وحجز كل ممتلكات عائلة المقراني والحداد (قرين، 2020، صفحة 100).

تم تشكيل لجنة بتاريخ 24 سبتمبر (1317هـ/1899م) لأجل إعداد تقرير للحاكم العام وضمان التحقيق في قضايا متعلقة بالاحتجاز، وتكونت هذه اللجنة من 5 أشخاص، تقوم بتسليم التقرير للقاضي لأجل النطق بالحكم، ولا يوجد شك أن هذه التقارير هي تقارير وهمية، ولا يسمح بالدفاع عن هؤلاء المعتقلين، بل لم يتم استجوابهم حتى صدور منشور في 5 نونيو (1321هـ/1903م) للجنايات (Ben Mohammed, 1873, p. 6).
تم إلقاء القبض على 150 شخص عقب انتفاضة عين الترك الواقعة بتاريخ 26 أفريل (1319هـ/1901م)، حيث تم تقديم 125 شخص إلى محكمة الجنايات والتي أمرت بنقلهم إلى مقاطعة مونوبليي (Momtpelier) (مجهول، مقاومة عين الترك 1901، د.ت) (هي بلدية فرنسية)، وذلك بطلب من المحامي لادميرال (L'admiral)، وهذا من لأجل التخلص من ضغط الرأي العام وانحياز القضاة للمعمرين ضد الجزائريين، وبدأت المحكمة في 15 ديسمبر (1320هـ/1902م) أمام مجلس جنايات هيرو، بعد 17 شهر من الانتفاضة تواصلت حتى 8 فيفري (1321هـ/1903م) بعد 45 جلسة، ويعود طول الفترة إلى كثرة المتهمين، طلب المدعي العام لافون (Lafon) بفرض

الفصل الأول.....الأسرى الجزائريون لدى فرنسا

أقصى العقوبات عليهم مثل ما يريدون المعمرون(بوشو و بلقاسم، 2022، الصفحات 819-820)، وكان النطق بالحكم كالتالي:

الجدول رقم (13): النطق بالحكم

الاسم	الحكم
• الشيخ يعقوب (قائد الانتفاضة)؛ • طالبي الحاج؛ • بوركيرة؛ • عبد الله الهيرتسي.	الحكم بالمؤبد مع الأعمال الشاقة
• طالبي ميلود؛ • بن يوسف سالم؛ • كوشيش سعيد.	سجن ما بين 5 سنوات إلى 15 سنة مع الأعمال الشاقة
18 شخص	أحكام مختلفة تدور بين السجن لمدة 5 سنوات والحرمان من الإقامة لفترة
81 شخص	براءة
17 شخص	موت
1 شخص	فقدان البصر

المصدر: من مراجع متعددة.

2.1. التعذيب:

استعمل الجيش الفرنسي كل الطرق والوسائل لتعذيب الأسرى الجزائريين والمعروفة في ذلك الوقت كاستعمال العصي، السيوف، السلاسل وقبضات الحديد والتجوع لحد الموت، ولم يكتفوا لهذا فقط بل قاموا بقطع أعضاء الأسرى كقطع رؤوسهم وأذانهم، وكل هذا لأجل استنطاقهم ونزع المعلومات منهم، فنجد بعض الجنود الفرنسيين يستحون من الجرائم التي قاموا بارتكابها في حق الأسرى(فيلالي، 2012، الصفحات 44-45)، وكان يتم ممارسة التعذيب عن طريق ضرب السجناء، وكان يتم الخلط بين الثوار وقطاع الطرق الذين يضايقون الفرنسيين، والذين يرفضون الاعتراف بجرائمهم، ويقول بيليسيه دي رينو (Pelissier De Reynaud): "أننا ما زلنا بعدين عن إعطاء العرب دروسا في الإنسانية"، أي أن الطريقة الصحيحة التي يجب أن يعامل بها هي العنف (Frémeaux, 2003, p. 10).

ويصرح بوديكور (Beaudicour) أن بعض الجنود قاموا بأسر أولئك الناجين من واحة الزعاطشة، وذهب أحدهم لعنة الله عليه بتقطيع ثدي امرأة وهو يمزح ويضحك بهذا العمل الشنيع، وهي تطلب الرحمة بأن يقتلها،

الفصل الأول.....الأسرى الجزائريون لدى فرنسا

وجندي آخر قام بحمل طفل رضيع من رجله ويقوم بضربه على رأسه إلى أن انفجر دماغه (فيلاي، 2012، صفحة 44)، ناهيك عن تعذيب النساء في السجون واغتصابهن اغتصاب جماعي مع كثرة الضغوط والإهانات (Frémeaux, 2003, p. 14).

3.1. الإعدام بدون محاكمات:

أعطى منتانيك (Montagnac) أوامر لجنوده، ومن لم يطبقها سيقوم بمعاقبته، وهي عدم المجيء بأي عربي حي، أي أنه لا يريد الحصول أبدا على الأسرى (فيلاي، 2012، صفحة 45)، وعند إلقاء القبض عليهم وإعطائهم تهم ثقيلة يتم قتلهم بلا محاكمات وإلا إجراءات، وهذا على حسب شهادة بخوش حسين الناجي الوحيد من مجزرة خراطة، حيث تم أسر مجموعة من الأشخاص من خراطة، وتم اعدامهم عن طريق رميهم من فوق الجسر (Aljazeera Arabic، 2017)، وتم إعدام بعض من سكان المويك الواقعة بالقرب من قصر الشلالة بمرتفعات القصور وبدون محاكمات، وذلك انتقاما من الشيخ بوعمامة بعد معركة 19 ماي (1291هـ-1881م) (ولد الحسين، 2010، الصفحات 24-25)، كما أعدم 7 أشخاص بأمر من الجنرال دي سونس (Des Sons) بعد إدانتهم بقتل 4 أشخاص فرنسيين من الجلقة دون ثبوت التهمة (Frémeaux, 2003, p. 12).

4.1. السجن:

شهدت الجزائر خلال فترة المقاومات الشعبية مواجهات شرسة ضد الاحتلال الفرنسي، حيث كان المقاومون يعتقلون ويسجنون في ظروف صعبة وغير إنسانية، حيث قام الاحتلال الفرنسي بسجن أناس دون سبب (فيلاي، 2012، صفحة 72)، وهناك من تم سجنهم وبدون محاكمات وحتى رغم عدم وجود أدلة كافية ضدهم، وهذا لأجل التبليغ عنهم فقط بأنهم مجرمون، فتم إصدار قرار مؤرخ في 27 ديسمبر (1253هـ/1838م) على حق الاحتجاز دون ثبوت التهمة على المتهم، وصدر مرسوم في 31 ديسمبر (1313هـ/1896م) ينص على أن الحاكم العام يقع على عاتقه وبموجب الصلاحيات المخولة له بأن يأمر باحتجاز وسجن السكان الأصليين مع تقديم تقرير فوري إلى الوزير (Gilbert, 1909, pp. 5-10).

كانت السلطات الفرنسية تسجن كل من يتعرض طريقها دون الرأفة أو الشفقة لأولئك النساء والأطفال الذين تركوا بلا مأوى، فيدخلون مجموعة إلى السجن المدني وعند ظهور براءتهم يطلق سراحهم، ويتم إلقاء القبض عليهم مرة أخرى ويدخلونهم السجن العسكري، ويأتون بأخريين لسجن المدني، وهكذا كانت تتم عملية سجن الجزائريين (Ben Mohammed, 1873, p. 4).

وصدر مرسوم في 20 ماي (1319هـ/1903م) والذي يتضمن جهاز الدرك وخاصة المادة رقم 307، التي تفرض في حالة اشتباه شخص ما في ارتكابه جريمة قتل أو سرقة، وفي حالة غياب وكيل الجمهورية فإن عملية إلقاء القبض تتم بشكل فوري، وبطريقة قانونية ولا تتجاوز مدة الاعتقال 24 ساعة ليتقدم وكيل الجمهورية أو

الفصل الأول.....الأسرى الجزائريون لدى فرنسا

قاضي التحقيق، ورغم ذلك إلا أن قوات الدرك والشرطة تم تنفيذ بهذه وراحوا يتفنونون في أساليب التعذيب داخل السجون (بلجة، 2022، الصفحات 264-265).

واختلفت أسباب الدخول لسجن وكثيرا منهم بمجرد الاشتباه فيهم فقط، ونسبت إليهم تهم تفتقر إلى أدنى الأدلة، بحيث نذكر منهم:

الجدول رقم (14): أسباب سجن بعض الأسرى

الاسم	التهمة	الحكم
المفتي ابن العباطي	إدخال اللغة الفرنسية للمدارس القرآنية	النفي إلى سان مارغريت
علي بن عيسى	تزوير العملة	النفي و20 سنة أعمال شاقة
أحمد بن الحمالوي	الخيانة والقدر	النفي و20 سنة أعمال شاقة
ابن عزوز	تحريض القبائل ضد فرنسا	الإقامة الجبرية في عنابة

المصدر: (الفرحي، 2007، صفحة 122).

كذلك تم سجن لحسن بخوش وهو الناجي الوحيد من مجزرة خراطة إلى سجن الكدية بتهم لم يفعلها، حيث أجبر على قبول التهم الموجهة إليه لأجل البقاء على قيد الحياة، وهي أنه هو من قام بحرق البريد، وقتل القاضي الفرنسي وامراته، وبهذه الاعترافات تم سجنه في سطيف مع 70 شخص قد حكم عليهم بالإعدام (Aljazeera Arabic، 2017).

ومن أهم السجون التي كانت فرنسا تقوم بسجن الجزائريين فيها هي سجن عين باي، الواقع بالقرب من قسنطينة، والثاني في بوكنيفس الواقع في وهران، والثالث في تادميت وهو واقع بين الأغواط والجللفة وهو معروف بسمعته السيئة، وذلك لاحتوائه على ورشات الأعمال الشاقة، ولا تخضع هذه المؤسسات العقابية لإدارة السجون بل لسلطة هيئة الشؤون الأصلية (Gilbert, 1909, pp. 5-6)، ولم تسجن فرنسا من كان واقفا في وجهها فقط، بل سجن كذلك من كان متعاوناً معها ويعمل لصالحها حين انتهاء دوره أو يقضي مصالح فرنسا تقوم بسجنه ملفقة له التهم (الفرحي، 2007، صفحة 119)، والدليل الموجود على أن فرنسا قامت بمعاقبة الجزائريين بالسجن والغرامات المالية هو سجلات الغرامات، ومثال على ذلك: فلان بن فلان نوقع عليه غرامة مالية قدرها 50 فرنك أو 100 فرنك أو السجن لمدة شهر أو شهرين بسبب مخالفته لأوامر القادة (Ben Mohammed, 1873, p. 38).

II. النفي والتهجير القسري للجزائريين:

شهدت الجزائر عمليات نفي وتهجير قسري نفذتها السلطات الفرنسية، وتباينت ظروف هذه العمليات

الفصل الأول.....الأسرى الجزائريون لدى فرنسا

وأماكنها وظلت تفاصيلها غير واضحة في كثير من الأحيان تحتاج إلى دراسة وتدقيق.

1. تعريف النفي والإبعاد:

سنقوم بتقديم تعريفان للنفي، أحدهما تعريفا لغوي والآخر اصطلاحا، كما هو موضح في هذا المطلب.

1.1. تعريفه لغة:

يدل لفظ النفي في المعاجم العربية على جملة من المعاني والدلالات التي لا تغادر حقل دلالي واحد، ومن تلك الدلالات: الرد، الطرد، الإبعاد، التنحية، التعرية (عباسي، 2018، صفحة 108). يقال نفيت الرجل وغيره أنفيه نَفْيًا إذا طردته (ابن منظور، د.ت، صفحة 4512)، ويقال أيضا التغريب، هو النفي عن البلد الذي وقعت فيه الجناية، ويقال أَغْرَبْتُهُ وَغَرَبْتُه إذا نحيت وأبعدته (طبسي، 2012، صفحة 11).

وفي الآية القرآنية: {أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ} (سورة المائدة: الآية 33)، ومعناها النفي من الأرض بالقتل والصلب، وهو النفي من وجه الأرض، والنفي هو الإخراج والتغريب من بلده إلى بلد آخر (بن عبد العزيز بن محمد الأحمد، 2006، صفحة 60).

2.1. تعريفه اصطلاحا:

عرف الامام أبو حنيفة النفي على أنه الحبس، وعرفه عمر بن عبد العزيز وسعيد بن جبير إلى أن النفي هو الإخراج من مدينة لأخرى (الحموي، 2003، صفحة 500).

يقصد بالنفي إبعاد الأفراد الذين يشكلون خطرا على السلطة أو يمتلكون نفوذا قد يؤثر على استقرار المجتمع سواء كان ذلك في المجال الاجتماعي أو السياسي، ويكون تأثير هذه الفئة في المجتمع أكثر وضوح، مما يتم نفهم كوسيلة لإبعادهم (أبو القاسم، 2007، صفحة 38)، مثال ذلك: نفي الجزائريين من قبل السلطات الفرنسية.

منذ بداية دخول إدارة المارشال دوبورمون (Maréchal Dubourg Mont) انتهجت الإدارة الاستعمارية سياسة النفي والإبعاد كجزء من استراتيجياتها في الجزائر مستخدمة وسائل وأساليب متعددة في تحقيق ذلك، حيث بعدما تم توقيع معاهدة الاستسلام قام دوبورمون بنفي الأتراك من الجزائر (بن عثمان خوجة، 2006، الصفحات 194-195).

لجأ الاستعمار الفرنسي إلى سياسة الإبعاد القسري للجزائريين ونفهم إلى أقصى مناطق الأرض بداية من نصف القرن 19م (مجهول، 2022) إلى نصف القرن 20م بهدف إخضاعهم وإخماد ثوراتهم، كما نفي قادة المقاومات نحو فرنسا مثل: الأمير عبد القادر، ثم إلى مناطق أخرى مثل: غويانا، كورسيكا، وكاليدونيا وهذا لأجل القضاء على ثوراتهم.

الفصل الأول.....الأسرى الجزائريون لدى فرنسا

2. النفي إلى غويانا:

موقعها الجغرافي:

تقع غويانا الفرنسية في قارة أمريكا الجنوبية (DCJS, s.d)، أحد أقاليم ما وراء البحار لفرنسا، لها حدود مع دولتي البرازيل وسورينام، وتعتبر من أصغر الدول في أمريكا الجنوبية، تبلغ مساحتها حوالي 214970 كيلو متر مربع، وتقع على الساحل الشمالي الشرقي لأمريكا الجنوبية التي تشرف على المحيط الأطلسي (إسماعيل، د.ت). قامت فرنسا بنفي مجموعة من الأسرى إلى غويانا الفرنسية، وذلك كعقاب لهم على جرائمهم، ولم يشمل هذا النفي الرجال فقط، بل مس النساء كذلك، وذلك بسبب مساعدتهم للثوار في المقاومات الشعبية (العربي، 2023، صفحة 160)، وحتى أغنياء المدينة لم يفلتوا من هذا العقاب (الأشرف، 2007، صفحة 203)، فقد تم الحكم على هؤلاء الأسرى بالإعدام لكن بعد ذلك تم تغيير رأي المحكمة فقامت بنفهم، ومن هؤلاء الأسرى المنفيين نذكر:

الجدول رقم (15): الأسرى المنفيين إلى غويانا

الاسم واللقب	الجريمة	العقوبة/الحكم
حسين بن محمد بن أحمد (1283هـ/1866م) المهنة: مزارع	الأعمال اللصوصية والتحريض الديني ومجازر الأوروبيين ونهب المزارع التي أعطت للمستوطنين في 27/26 أبريل (1324هـ/1906م)	حكم عليه بالإعدام في 12 ديسمبر (1324هـ/1906م)، ثم تم تخفيض العقوبة إلى الأعمال الشاقة المؤقتة
حسين بن محمد بنعد الله معروف باسم البنغالي (1272هـ/1855م) المهنة: عامل يومي	قتل الأنسة أليس نيبري	حكم عليه بالإعدام في 27 فيفري (1317هـ/1900م)، صدر العفو عنه في 14 فيفري (1317هـ/1900م) وخففوه إلى العمل القسري مدى الحياة
بولعراس بن صالح (1287هـ/1870م)	جرائم القتل المتزامنة والسرقة	الإعدام في 21 ديسمبر (1334هـ/1916م)، ثم خفف عنه للعمل القسري في 21 مارس (1335هـ/1917م)
إيمرزوكين سعيد بن حسين (1267هـ/1850م) المهنة: مزارع	قتل مرابط	الإعدام في 27 جوان (1321هـ/1903م)، ثم خفف لنفي مع العمل القسري مدى الحياة في 17 أوت (1321هـ/1903م)

الفصل الأول.....الأسرى الجزائريون لدى فرنسا

يوسف بن الحبش	/	النفي في (1285هـ/1868م)
يونس بن بلقاسم	/	النفي في (1284هـ/1867م)
يحيى بن مبارك	/	النفي في (1298هـ/1881م)
أحمد بن لخضر (1291هـ/1874م)	جريمة قتل في 5 فيفري (1323هـ/1905م)	النفي لمدة 10 سنوات بتاريخ 26 ماي (1323هـ/1905م)
ريناني يعقوب بن محمد	/	النفي في (1329هـ/1911م)
ريجيس بن عمر بن سي رباح	/	نفي في (1291هـ/1874م)، وتوفي في (1293هـ/1876م) عن عمر يناهز 37 عام.
رمضان أو صدى	/	نفي في (1285هـ/1868م)، توفي في 22 سبتمبر (1287هـ/1870م) عن عمر 22 عام.
رايح بن سي الطيب	/	نفي في (1292هـ/1875م)
رايح بن مبارك الزو	/	نفي في (1288هـ/1871م)، وتوفي (1295هـ/1878م)
ولد لخطاب العربي ولد الحاج	/	نفي في (1313هـ/1896م)

المصدر: (bagneblog, 2015).

كما ذكرنا سابقا أن النفي لم يمس الرجال فقط، بل حتى النساء خاصة في عهد بيجو (Bugeaud) (الخالدي، 1997، صفحة 7)، فرغم كل الضغوطات والتعذيب والقهر الذي عاشته النساء في تلك الفترة، لكن غليل الاستعمار وحقده لم يكن له حدود، فذهب إلى سياسة أخرى لتشديد الخناق عليها ألا وهو النفي، سأنتقل الآن إلى ذكر بعض المنفيات إلى غويانا الفرنسية: (العربي، 2023، الصفحات 266-268)

- عيشة بنت العباس 307/134: تم الحكم عليها في 2 ديسمبر (1288هـ/1871م) بتهمة الاحتيال والخداع وقتل طفل وإخفاء جثته، حكم عليها بالنفي إلى غويانا والعمل الشاق لمدة 15 سنة.
- فاطمة بنت الحبيب 306: تم الحكم عليها بالنفي في 14 ماي (1289هـ/1866م) بسبب التواطؤ في قتل أهلي جزائري مع الأعمال الشاقة إلى الأبد.
- عليمه بنت رحلي 348/184: حكم عليها بالنفي في 17 سبتمبر (1289هـ/1872م) ولا توجد أي معلومة عن سبب النفي، ولكن من الراجح أنها قامت بالمقاومة ضد فرنسا بسبب أن لها قرابة مع مشاركين في المقاومة.

الفصل الأول.....الأسرى الجزائريون لدى فرنسا

- فاطمة بنت سي علي بن العربي 308/130: حكم عليها بالنفي في 9 جوان (1288هـ/1871م) بسبب قتلها جندي فرنسي مع الأعمال الشاقة لمدة 5 سنوات.

ولم ينتهي جحيم وعذاب المنفيات في غويانا، بل إن عذابهم قد زاد هناك، بسبب المعاملة السيئة داخل السجون وناهيك عن الاغتصاب الذي تعرضن له، من قبل الجنود الفرنسيين والأعمال الشاقة (العربي، 2023، صفحة 270)، فمنهم من حاول الهروب إلى البرازيل لكنه قد توفي في طريقه إليها بسبب طول وصعوبة الطريق، ويمكن القول إن نسبة نفي الجزائريين إلى غويانا بلغت 20 ألف شخص، بعد محاكمات شكلية لأجل التخلص منهم (إسماعيل، د.ت).

3. النفي إلى كاليدونيا الجديدة:

موقعها الجغرافي:

تقع كاليدونيا الجديدة في جنوب غرب المحيط العادي (تاوتي، 2007، صفحة 131)، تبلغ مساحتها 18576 كيلومتر مربع، ويبلغ عدد سكانها 268767 نسمة (دردور، 2017، صفحة 3)، يمتد إقليم كاليدونيا الجديدة على الأراضي الضيقة الممتدة على طول 400 كلم و50 كلم من ناحية العرض من الشمال الغربي ونحو الجنوب الشرقي، كما تبلغ مساحتها حوالي 16.17 كلم، وأرخبيل اللوايوي الذي يقع على بعد 100 كلم من الأراضي الكبرى وتحتل جزرها مساحة مساحة 1870 كلم (تاوتي، 2007، صفحة 131)، كما نجد جزر شيستر فيلد خالية من سكان وتقع على بعد 400 كلم من الجهة الشرقية.

قامت فرنسا بتجريد الجزائريين من أملاكهم وأراضيهم وكل وسائل معيشتهم وإبعادهم إلى المناطق القاحلة، كل هذه الأوضاع التي سببها الاستعمار أدت بالجزائريين إلى خلق انتفاضة عام (1288هـ/1871م) (تاوتي، 2007، صفحة 45) التي قادها بومرزاق المقراني بعد وفاة أخيه باشاغا المقراني، والتي كان لها دور في فرض ضرائب ومصادرة (Merle, 2020, p. 278) الأراضي ومحاكمة الثوار بعد إدانة بومرزاق الذي خلف أخوه المقراني بعد الانتفاضة عام (1288هـ/1871م)، تم إنشاء محاكم استثنائية وهمية تسمى بمجالس الحرب في 3 محافظات (الجزائر، قسنطينة، وهران)، وهذا لأجل محاكمة المجرمين على الجرائم المرتكبة خلال فترة الانتفاضة، ولقد تم توجيه الاتهام ضد 213 فرد من الزعماء الكبار أمثال بومرزاق والشيخ الحداد وابنيه على أساس أنهم يحرضون للقيام بأعمال الشعب والقتل ووصفهم بقطاع طرق أو متمردين (Ouennoughi, 2006, p. 54)، كما بلغ عدد الموقوفين في فيفري (1289هـ/1872م) حوالي 830 ألف شخص فرض عليهم الحجز الجماعي وبقيت أعدادهم في تزايد مستمر، وبدأ إصدار الأحكام في 15 جانفي (1289هـ/1872م) وقد حكم على بومرزاق بالإعدام في 27 مارس (1290هـ/1873م)، ولقد قال: "أنا لا أخاف أن أموت حتى إذا كنت سأموت عاجلا وليس

الفصل الأول.....الأسرى الجزائريون لدى فرنسا

أجلا"، ثم قد تم تخفيف الحكم عنه (بلعيدى ولرباس، 2024، الصفحات 76-77) إلى السجن المؤبد والترحيل إلى كاليدونيا الجديدة.

أما بالنسبة لعزیز ابن الشيخ الحداد فلقد حكم عليه بالإعدام لكن تم إنقاذه بوسام الشرف الذي تحصل عليه بالنفي إلى كاليدونيا الجديدة، وحكم على والده الشيخ الحداد بالسجن لمدة 5 سنوات، وقال عزیز في المحكمة مبررا هذه الانتفاضات أن: "زادت هذه الأشياء (الحبس، القتل، الحرق، الضرب، السب) في قلوبنا الحقد والبغض وعداوة الحكومة فلا أحد يرضى موت أخيه أو أبيه ووالده" (بلعيدى ولرباس، 2024، صفحة 76).

وحكم على 1822 شخص من شمال إفريقيا من (1281هـ/1864م) إلى (1314هـ/1897م) معظمهم جزائريين بالنفي إلى كاليدونيا الجديدة مع العمل القسري (Oulahal, Guerraoui, & Denoux, 2018, p. 373)، وكان يجب على هؤلاء السجناء الانتظار لأشهر قبل ترحيلهم وهذا سبب طول فترات المحاكمات، فكانوا يوضعون في المستودعات، وكانت أول قافلة لنقل السجناء من شمال إفريقيا في (1281هـ/1864م)، وتم إحصاء 178 سجين (Ouennoughi, 2006, p. 55) كان هؤلاء المرحلون الأوائل جزء من ثورة سيدي الشيخ عام (1281هـ/1864م) بعدها المرحلون السياسيون بعد ثورة القبائل (1288هـ/1871م) والعامري سنة (1293هـ/1876م)، ونقل 1120 شخص بين (1291هـ/1874م) و(1295هـ/1878م)، وتم نقل 13 شخص بين (1298هـ/1881م) و(1299هـ/1882م)، تم ترحيل 121 رجل سياسي و163 من المجرمين المتكررين في نصف القرن العشرين (Oulahal, Guerraoui, & Denoux, 2018, p. 375).

كان المنفيون ينقلون أولا إلى فرنسا في بداية الأمر لبضعة أشهر، ثم ينقلون من هناك إلى كاليدونيا وتبدأ رحلتهم الصعبة مع البحر، لأنهم أول مرة يركبون السفن لمدة طويلة، كما أن الأغذية التي كانوا يزودونهم بها غير مناسبة لهم ولدينهم، بحيث كان يقدم لهم لحم الخنزير والخمر، كما قدموا لهم لحم البقر والخضروات المجففة لكنها لم تناسبهم (Ouennoughi, 2006, p. 56)، كما تم تزويدهم باللبسة مناسبة لهم كالبرنوس، الطربوش وغيرها، وكانوا قد وضعوا في الأقفاص فكانت حالتهم جد صعبة ومزرية (بلعيدى ولرباس، 2024، الصفحات 78-79)، أما بالنسبة لحالة الوفيات كذلك نجد أن طبيب السفينة يرجعها إلى الحالة الجسدية والنفسية المزرية لهؤلاء الأسرى، ولقد توفي في سفينة كالفادوس (Ouennoughi, 2006, p. 56) في 2 سبتمبر (1291هـ/1874م) أربع أشخاص وهم محمد نايت موسى، أكلي نايت بوزيد، بوجمعة بن قارة، وعمورة نايت عمارة (بلعيدى ولرباس، 2024، صفحة 80)، ولا يسمح لهم إلا بمقدار ساعة واحدة يوميا لصعود إلى أعلى السفينة (تاوتي، 2007، صفحة 17).

الفصل الأول.....الأسرى الجزائريون لدى فرنسا

كما ذكرنا سابقا حتى النساء لم يتم عفوهن عن هاته العقوبة، فنجد منهن:

- صفية بنت قدور (رقم التعريف: 321): نفيت بتاريخ (1313هـ/1896م) لتهمة لم تذكر وبعد بقائها في المنفى لمدة سنة تم العفو عنها ورجعت للجزائر.

بالنسبة لظروف نقلهن ليست بالجيدة مقارنة مع الرجال فقد تم وضعهن في أقفاص حديدية بالإضافة على ذلك اغتصابهن في السفن أو في أماكن عقوبتهن، حيث نص القانون الفرنسي على هذه الفعلة الشنيعة بل وقد أصدر مادة رقم 57 من دستورهم عليها وتشجيع جنودهم لفعلها وحمايتها (العربي، 2023، الصفحات 269-271).

ومن أهم السفن التي عملت على نقل الأسرى إلى كاليدونيا: (تاوتي، 2007، صفحة 121)

الجدول رقم (16): يوضح أهم السفن لنقل الأسرى إلى كاليدونيا

أسماء السفن	الإقلاع	الوصول	عدد الصنفين
لالوار (9 قوافل)	5 جوان (1291هـ/1874م) من برست	16 أكتوبر (1291هـ/1874م)	39 منهم 5 توفوا
كالغادوس (11 قافلة)	2 سبتمبر (1291هـ/1874م) من برست	18 جانفي (1292هـ/1875م)	62 منهم 3 توفوا
لونافارين (17 قافلة)	13 جوان (1293هـ/1876م) من تولون	6 جانفي (1294هـ/1877م)	2 منهما شخص توفي
لونافارين	1 أكتوبر (1294هـ/1877م)	24 جانفي (1295هـ/1878م)	7 ويتعلق الأمر بالفارين من الأوراس

المصدر: (تاوتي، 2007، صفحة 125).

تذكر المصادر أن الجزائريين الذين وصلوا إلى كاليدونيا قد عانوا كثيرا بسبب تعرضهم للفقر والإهانة وجرح كبريائهم وتعذيبهم خاصة كبار السن (Oulahal, Guerraoui, & Denoux, 2018, p. 369)، وفي مقابلة تم إجرائها مع أبناء المنفيين بكاليدونيا قالوا أنهم قد شهدوا اختفاء تدريجي للجزائريين الأوليين بسبب موتهم، وأنهم كانوا يتمنون العودة إلى بلادهم، لكن القدر لم يشئ ذلك، فقد تم منحهم أسماء كاثولية، أما بالنسبة للعنصرية التي مست الأطفال، فإنهم قد دخلوا للمدارس بأسماء كاثولية، وحتى تعرضهم لمضايقات وإطلاق لقب بيكو عليهم مما جعلهم عدم إكمال دراستهم (Oulahal, Guerraoui, & Denoux, 2018, p. 376)، فيروي أمحمد

الفصل الأول.....الأسرى الجزائريون لدى فرنسا

شعبان وهو موظف ديوان ثقافة عن جد والده أمحمد الصقي المعروف بالشيخ الكاليدوني، الذي نفي لكاليدونيا أنه قد عانا كثيرا وتعرض لتعذيب والأعمال الشاقة، وأنه في يوم من الأيام قد تم التمر عليه من قبل أستاذه بلقب المنفي (بويط و أم السعد، 2023، صفحة 485)، كما كانوا ينعتونهم بالأصل المتسخ (التاوتي، 2014)، وبالنسبة للمهن التي كانوا يزاولونها هي البناء، الزرع جني المحاصيل المتقدمة (Ouenoughi, 2006, p. 66)، فقاموا بزراعة الليمون في جزيرة باينز، وقد اعترفت فرنسا أن الجزائريين قد حافظوا على خبرتهم في الزراعة، كما أنهم قد قاموا بزراعة النخيل عن طريق البذور (النوي)، ولم يتخلوا عن تقاليدهم الزراعية، يقومون بإعداد طعامهم الثقافي في هذه الأرض التي يشعر بأنها عدوا له، وتم العثور على عدد كبير من الماعز في كاليدونيا وتم استغلاله في إنتاج الحليب (Ouenoughi, 2006, pp. 61-67)، وكانوا يعدون الكسكسي باستخدام منتجات من حدائقهم كاللفت، القرعة، الفلفل، والقمح الصلب في استخدام الكسرة، والفطائر عن طريق التمر (Ouenoughi, 2006, p. 62) المطحون، وقاموا بإعادة صنع المنجل والمشاش¹، وفي الليل كانوا يتأملون النجوم وغروب الشمس لساعات طويلة يحلمون برجوعهم إلى وطنهم (Merle, 2020, p. 273).

عند نهاية مدة العقوبة يتم منحهم قطع أرض ويقال لهم عيشوا أو صارعوا الحياة، لكن لا رجوع للجزائر (التاوتي، 2014)، وعند نهاية عقوبة المقراني قام بافتتاح متجرا مربحا (Merle, 2020, p. 274)، وفي حال عدم نهاية مدة العقوبة عند موتهم يتم دفنهم في مقبرة إسلامية (Oulahal, Guerraoui, & Denoux, 2018, p. 379) إلا أول شخص توفي فيها سنة (1289هـ/1872م) فإنه دفن بطريقة غير إسلامية (التاوتي، 2014)، وبعد وفات المرباط سيدي مولاي في نيساديو سنة (1308هـ/1891م) قدم ميلود بن عبد الله المحرر قطعة أرض لدفن المحمدين فيها، وذلك بطلب من العرب (Oulahal, Guerraoui, & Denoux, 2018, p. 379).

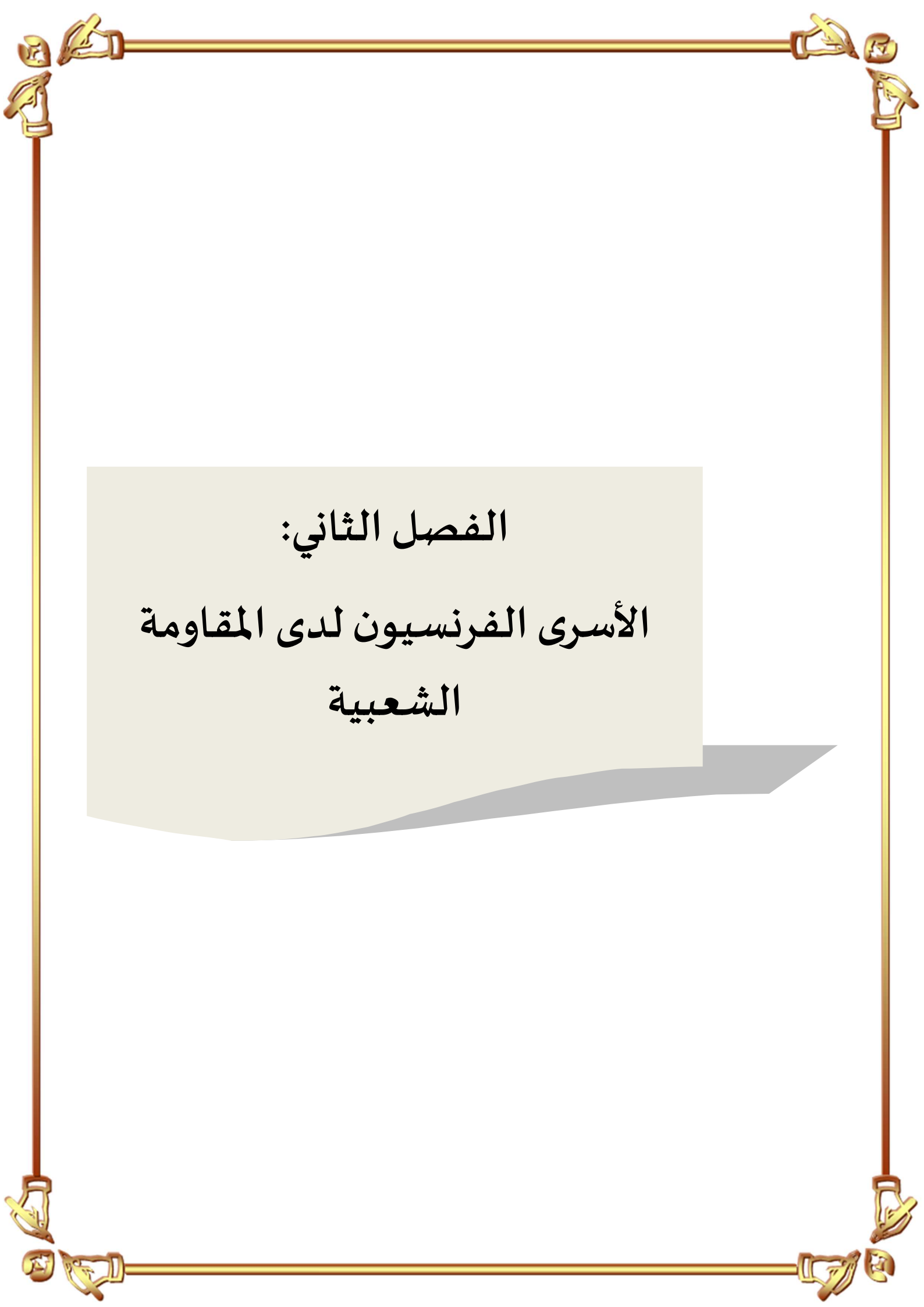
¹ المشاش: وهو معاول ذات مقبض قصير، للمزيد من المعلومات انظر: (Ouenoughi, 2006, p. 62).

استنتاج الفصل:

لم يكن مصير الأسرى الجزائريين سوى حلقة أخرى من سلسلة القمع الاستعماري، حيث سقطت كل الاعتبارات الإنسانية، وتجاوزت المعاملة حدود ما يفرض في الحروب لم يعترف بهم كأسرى حرب، ولم تحترم فيهم كرامة الانسان، بل خضعوا لأساليب قمعية ممنهجة تراوحت بين التعذيب الجسدي والإذلال النفسي في محاولة لكسر إرادتهم وإخماد روح المقاومة.

وما قدمناه من إحصائيات لعمليات الأسر الجماعية والفردية ما هو إلا جزء بسيط من الواقع، ويمكن اعتبار الأسر والتعذيب أثناء الأسر والإذلال وغيرها من الممارسات سياسة ممنهجة من أجل كسر عزيمة المقاومة وتنفير الشعب الجزائري من حولها، نزع ثقتهم في قادتها.

حاول الإحتلال الفرنسي التركيز في تعامله اللإنساني والقمعي مع قادة المقاومات الشعبية أثناء الأسر وتلك لإذلالهم وجعلهم عبرة لمن يعتبر، إضافة إلى الانتقام منهم ومن عائلاتهم والقبائل التي ساندتهم. ما لم تدركه آلة القمع الفرنسي هو أن تلك المعاناة بدل من تطفئ شرارة النضال زادت في اشتعالها، لأنه رغم معاناة الجزائريين وقادة المقاومة في الأسر، بل وإبادتهم ونفيهم وتهجيرهم محاولة لإنهاء روح المقاومة واستمراريتها إلا أن ذلك زاد من إصرار الجزائريين خاصة وأنهم رءوا جليا كيف يتعامل الإحتلال الفرنسي معهم ومع أسراهم ما يكشف الوجه الحقيقي له عكس ما يدعي تماما، حتى في حالة استسلام الأسرى.



الفصل الثاني:

الأسرى الفرنسيون لدى المقاومة الشعبية

تمهيد الفصل:

شهدت فترة المقاومة الشعبية في الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي مواجهات عنيفة بين الطرفين تخللتها عمليات عسكرية وأحداث كثيرة، من بينها أسر الجنود الفرنسيين أثناء المعارك، وقد برز موضوع معاملة هؤلاء الأسرى كجزء من مجريات الصراع، حيث تعاملت المقاومة مع واقع جديد فرضته الحرب، يتمثل في وجود أسرى أجنب بين أيديها، وتنوعت ظروف وأشكال هذه المعاملة حسب الزمان والمكان وطبيعة القادة المحليين، مما يجعل هذا الجانب من التاريخ يستحق التوقف عنه لفهم تفاصيله وسياقه ضمن أحداث المقاومة الشعبية، وهذا ما سنذكره في هذا الفصل من خلال التطرق إلى:

I- استراتيجيات المقاومة في عمليات الأسر:

(1) طرق وأساليب القبض على الأسرى.

II- أسس وأساليب معاملة الأسرى الفرنسيين لدى المقاومة:

(1) مرجعية ومبادئ معاملة الأسرى.

(2) طريقة معاملة الأسرى الفرنسيين.

III- مصير الأسرى الفرنسيين:

(1) التبادل.

(2) الهروب.

١. استراتيجيات المقاومة في عمليات الأسر:

وقعت حوادث كثيرة لا تزال محل تساؤل لدى الباحثين والمهتمين بالتاريخ، من بين هذه الحوادث تبرز وقائع تتعلق بأشخاص تم احتجازهم في ظروف غير واضحة، وأحداث جرت في أماكن نائية لم توثق بشكل كاف.

١. طرق وأساليب القبض على الأسرى:

لقد تم إلقاء القبض على الأسرى الفرنسيين من طرف المقاومة الشعبية بعدة طرق منها:

١.١. الأسرى في ساحات المعارك:

شكلت ساحات المعارك المصدر الرئيسي لأسر الجنود الفرنسيين، حيث كانت المواجهات المباشرة بين الطرفين تسفر في كثير من الأحيان عن وقوع بعضهم في قبضة المقاومة، ومن هذه المعارك معركة 28 جوان (1251هـ/1835م)، حيث تمكنت قوات الأمير عبد القادر من إلحاق هزيمة ساحقة بقوات الجنرال "تريزان" (Trézen) في معركة "المقطع"، حيث أوقع الأمير عبد القادر خسائر فادحة في صفوف العدو، مما أجبره على الانسحاب إلى وهران، وتاركاً وراءه قتلى وأسرى وجرحى، أدت هذه الهزيمة إلى عزل الجنرال "تريزان" من قيادته واستبداله بالأوروبيين (الفرحي، 2007، صفحة 38)، كما تمكن الأمير عبد القادر بين سنتي (1255هـ/1839م-1256هـ/1841م) من أسر 80 مقاتلاً فرنسياً، من بينهم الملازم المساعد المقيم ماسو (Massot) الذي أُلقي عليه القبض في أوائل سنة (1256هـ/1840م) بالقرب من الجزائر العاصمة (حرب، 2005، الصفحات 552-553)، وكذلك إلقاء القبض على "بودري" (Baudry) من قبل سي سليمان في 8 أفريل (1281هـ/1864م) في مقاومة سيدي الشيخ (ولد الحسين، 2010، صفحة 33)، وعندما تأكد المارشال كلوزيل (Clauzel) من استحالة اقتحام ودخول قسنطينة انسحب من المعركة بتاريخ 24 نوفمبر (1252هـ/1836م)، متوجهاً نحو عنابة تاركاً وراءه بعض من جنوده الجرحى ومرضى، حيث تم أسرهم من قبل قوى أحمد باي (فيلالي، 2012، صفحة 44).

معركة سيدي إبراهيم الواقعة في 23 و 25 أفريل (1262هـ/1846م) هي الأخرى أسفرت عن إسقاط عدد من الجنود الفرنسيين في الأسر، حيث انضمت مجموعات من الأسرى إحداهما من قوات مونتانياك (Montaniyak) والأخرى من قوات مارلان، ليصل إجمالي عدد الأسرى إلى حوالي 300 شخص من بينهم 10 ضباط، تم تسليم هؤلاء الأسرى إلى الأمير عبد القادر في 26 سبتمبر، الذي أوكل مسؤولية الإشراف عليهم إلى كتيبة الحاج سالم، مع التأكيد على حسن معاملتهم وتوفير احتياجاتهم الأساسية، ورغم ذلك رفض الأمير عبد القادر السماح بمراسلة السلطات الفرنسية بشأن الأسرى، مما أدى إلى تردي أوضاعهم في الوقت نفسه، اشتغل بعض الجنود هذا الوضع لكسب المال من خلال تقديم خدمات، بينما قام الضباط بمن فيهم دولكينو (Doulinkinou)، وكافينياك (Kaveniack) وموسير (Mousseir)، بمحاولات للتواصل مع القيادات العسكرية الفرنسية، أرسل دولكينو رسائل إلى قائد المنطقة الحدودية في تلمسان على أمل تلقي دعم لهم، خاصة مع تفاقم

الفصل الثاني..... الأسرى الفرنسيون لدى المقاومة الشعبية

نقص المواد الغذائية، مما أثر على الحصص اليومية للأسرى، وفي محاولة للتخفيف من معاناتهم أنفق دلكينو جزءا من المال لشراء الأقمشة وصناعة الملابس للأسرى، بينما تم توزيع ما تبقى من المال على الجنود (بن ساعد، 2003-2004، الصفحات 291-292).

وبعد معركة سيدي إبراهيم عام (1262هـ/1846م) وقع 300 جندي فرنسي في الأسر تحت حراسة مشددة، مع تفاقم الأوضاع ونقص المواد الغذائية زادت التوترات بين الأسرى وحراسهم، وفي 24 أفريل تمت تصفية الأسرى وهي حادثة أثارت جدلا واسعا لدى الصحافة الفرنسية، حيث وجه اللوم على الأمير عبد القادر رغم أن الأمر كان خارجا عن سيطرته، ورغم محاولات الأمير لحماية الأسرى، إلا أن الضغوط والاضطرابات الداخلية إلى جانب مخاوف العرب استمرار وجود الفرنسيين داخل الدائرة، أدت إلى تنفيذ الإعدام، تم تبرير الحادثة على أنها إجراء اضطرارية فرضته الظروف القاسية، لكن الفرنسيين استغلوها لتشويه صورة الأمير الذي كان يشتهر بحسن معاملته للأسرى (العربي إ.، 1986، الصفحات 113-114).

عند وصول الجنرال بيجو الذي سارع إلى مغادرة فرنسا إلى الجزائر، مع تعزيزات من القوات في 18 أكتوبر، وجد أن الدور العدواني لعبد القادر قد تقلص إلى موقف دفاعي تقريبا، حيث كان عدد الأسرى قرابة 304 أسير، ينقسمون إلى: (Bongrain, 1864, p. 64)

↪ ستة ضباط: السيد كوربي دي كونيوردا (M. Courby de cognord) والسيد مارين (M. Marine)، كذلك السيد هيلارين (M. Hillarine) والسيد لارازيت (M. Larrazait) والسيد كاباس (M. Cabasse)، وأيضا السيد ليفي (M. Lévy)؛

↪ وأربعة عشر ضابط من 284 عريفا وجنديا.

وبعد فترة لم يتبق من هؤلاء سوى 174، مات سبعة بسبب جراحهم، وعشرون بسبب أمراض داخلية، وهرب ثلاثة، ومن بين 174 كان هناك ما لا يقل عن 30 شخصا يعانون من مرض الإسقربوط (Bongrain, 1864, p. 88).

تمكن الشيخ بوعمامة بفضل نضاله البطولي ضد قوات الاحتلال الفرنسي بأسر 300 جندي فرنسي، بعد معركة شرسة جرت بينهما، تميزت معاملته لهم بالرحمة والاحترام لكرامة الانسان، حيث وفر لهم جميع حقوقهم الأساسية من مأكّل وملبس ورعاية صحية وراحة، وذلك على عكس المعاملة الوحشية التي كان يتلقاها الأسرى الجزائريون لدى الجيش الفرنسي (الفرحي، 2007، صفحة 87).

2.1. الأسر عن طريق الكمائن والحيل:

لجأت المقاومة الجزائرية، إلى جانب المواجهات العسكرية إلى أساليب ذكية كالفخاخ والحيل للإيقاع بالجنود الفرنسيين وأسرههم، وقد مكنتهم هذه الطرق غير التقليدية، رغم قلة الإمكانيات من تحقيق نتائج فعالة

الفصل الثاني..... الأسرى الفرنسيون لدى المقاومة الشعبية

دون خوض معارك مباشرة، ومن هؤلاء الذين تم أسرهم بهذه الطريقة نذكر فندلين شلوصر، وهو أسير الداي أحمد، حيث تم إلقاء القبض عليه وهو برفقة أربعة أفراد في الغابة ذاهبين لها لأجل تقطيع الخشب، بعدما تم إتياعهم والتجسس عليهم وتأكدوا من أنهم عزل عاجموهم وألقوا القبض عليهم وأسروهم(شلوصر، 2007، الصفحات 12-13).

3.1. أسرى الجواسيس الفرنسيين:

من أهم الطرق التي أسر بها الفرنسيون هي التجسس، حيث أرسل الاحتلال بعض أفراده للتجسس على الجزائريين، لكن تم كشف أمرهم من طرف السكان أو المقاومين، فأسروا وسقطوا في قبضة المقاومة، وهذا ما حدث في سنة (1306هـ/1889)، عندما تم إلقاء القبض على بعثة فرنسية متكونة من عدة أشخاص، من ضمنها قائد عسكري متجسسين في قصر العرب بمدينة المنيع (رموم، د.ت، صفحة 62).

II. أسس وأساليب معاملة الأسرى الفرنسيين لدى المقاومة:

في خضم المواجهات المتواصلة بين المقاومة الشعبية وقوات الاحتلال الفرنسي برزت مشاهد لم تكن ظاهرة للعلن، من بينها مشاهد تتعلق بأسر عدد من الجنود الفرنسيين خلال العمليات العسكرية أو الكمائن المفاجئة، وقد تنوعت أماكن احتجازهم وتعددت أساليب معاملتهم، وهذا ما سنتطرق إليه فيما يلي:

1. مرجعية ومبادئ معاملة الأسرى:

كانت المقاومة الشعبية تعتمد على مبادئ الدين الإسلامي واستعملته كمرجعية للتعامل مع الأسرى، حيث كان الأمير عبد القادر يقتدي بالرسول صلى الله عليه وسلم في معاملة أسراه من خلال العمل بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تكلمت عن معاملة الأسرى، فقد كان الأمير رمز الرحمة والعدالة في زمن الحروب، كان يحرص على معاملة الأسرى من الجيش الفرنسي بطريقة إنسانية ووفقا للمبادئ الدينية الإسلامية. كما أنه رفض التمييز في معاملة الأسرى بناء على اللون أو الدين أو الجنسية، بل عامل الجميع بعدالة واحترام (دوحة، 2010، صفحة 298)، ومن المواقف الشهيرة للأمير عبد القادر ما حدث عام (1257هـ/1841م)، حين أطلق سراح عدد من الأسرى الفرنسيين دون مقابل، فقط احتراما للإنسانية وللشريعة الإسلامية، مؤكدا على أن الإنسانية لا تشتري ولا تباع.

وكان الأمير عبد القادر قد أسس قواعد في التعامل خلال الحروب مثل التبادل المنتظم للأسرى، وهي أمور لم تكن شائعة في ذلك الوقت (دوحة، 2010، صفحة 299)، فبعيدا عن أي تحيز وطني أو ديني، ومن منطلق الموضوعية والحيادية، فإن الكثير من الشواهد تؤكد أن الأمير عبد القادر الجزائري كان من أوائل من وضعوا أسس القانون الدولي الإنساني الحديث، وخصوصا فيما يتعلق بحماية الأسرى أثناء الحروب، وهو من أوائل من طبق هذه المبادئ العلمية، وفي هذا السياق يعتبر المرسوم الذي أصدره في عام (1259هـ/1843م) بشأن معاملة

الفصل الثاني..... الأسرى الفرنسيون لدى المقاومة الشعبية

الجنود الفرنسيين للأسرى دليلا واضحا على احترامه للقانون الإنساني، حتى في زمن الاحتلال الفرنسي للجزائر، فقد التزم بقواعد إنسانية راقية قبل أن تظهر منظمات ومؤسسات دولية ترعى مثل هذه المبادئ بزمن طويل مثل اللجنة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر، وقد شدد هذا المرسوم على ضرورة معاملة الجنود الأسرى معاملة إنسانية دون تمييز، سواء كانوا مصابين أو غير ذلك، وهو ما يعد في زمانه سابقا في احترام كرامة الانسان خلال النزاعات (مرايحي، 2020).

وقد أخذ الأمير مرجعيته ومبادئه من آيات قرآنية وأحاديث من بينها:

- قال الله تعالى: {فِيمَا مَنَّا بَعْدُ وَآمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا} (سورة محمد: الآية 4)، وهذه الآية تدل على أن الإسلام قد أحل تبادل الأسرى.
- قال الله تعالى: {وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا} (سورة الأحزاب: الآية 26)، وتعني هذه الآية عدم قتل الأسرى والإتاء بهم أحياء.
- قال الله تعالى: {وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا} (سورة الانسان: الآية 8).
- كذلك ما ورد في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: "ما روي عن عزيز بن حميد قال: (كنت في الأسارى يوم معركة بدر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: استوصوا بالأسارى خيرا)".
- وروى ابن هشام في السيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى ثمامة، قال لأصحابه: (هذا ثمامة بن أثال الحنفي، أحسنوا إسارة ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله فقال: اجمعوا ما كان عندكم من طعام فابعثوا به إليه، وأمر ببلغته أن يبني عليه بها ويروح).
- وكان من آخر ما أوصى به النبي صلى الله عليه وسلم صحابته: (وما ملكت أيمانكم) وملك اليمين هنا هو الأسير الذي لم يتمكن بعد من دفع الفدية لأسره.

2. طريقة معاملة الأسرى الفرنسيين:

في دراستنا لهذا العنصر لا حظنا نقص في إشارة الدراسات إلى الأمثلة والنماذج التي توضح معاملة المقاومة الشعبية للأسرى الفرنسيين، ويعود ذلك إلى التوثيق الرسمي، ولهذا السبب يصعب العثور على أمثلة دقيقة تعكس أسلوب تعاملها مع الأسرى، في المقابل نجد معاملة الأمير عبد القادر للأسرى في مقاومته كنموذج استثنائي يمكن الاعتماد عليه ودراسته.

1.2. معاملة الأمير عبد القادر للأسراه:

من أبرز الجوانب التي أسهمت في تعزيز القيمة التاريخية للأمير هي مواقفه المشهورة في معاملة الأسرى بأسلوب راق، فقد جسدت هذه المواقف نمودجا مثاليا يحتذى به، حيث عكست شخصية الرجل الملتزم

الفصل الثاني..... الأسرى الفرنسيون لدى المقاومة الشعبية

بالمبادئ الإسلامية السمحة التي تدعوا إلى العدل والرحمة (بن ساعد، 2003-2004، صفحة 281).

لقد نشأ الأمير على الحضارة الإسلامية منذ صغره، مما أكسبه فهما عميقا لمعاني معاملة الأسرى، وقد انعكس ذلك في تكوينه الحضاري المتجذر في القيم الإنسانية السامية التي تجسد أرقى معاني الرحمة والعدل، كان الأمير على دراية واسعة بقوانين الحرب وحرص على تطبيقها وفقا لما سار عليه الرسول صلى الله عليه وسلم (عزوزي، 2001، صفحة 192)، وأيضا كان يأمر جنوده ورجاله بعدم قتل الأسرى والذين عرفهم الإسلام من خلال الآية: { وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا } (سورة الأحزاب: الآية 26)، ولهذا أجاز الأمير من يأتيه بالأسرى أحياء، ولضمان وضوح الأمر اتخذ الأمير عبد القادر موقفا وطنيا حاسما بشأن معاملة الأسرى، فقد دعا قاداته وخلفائه من الأغاوات ورؤساء القبائل إلى الالتزام بمبادئ الرحمة والعدل في التعامل مع الأسرى حتى بلغ عددهم 8 آلاف شخص، وألقى عليهم خطابا استشهد فيه بآيات قرآنية تؤكد أهمية حسن معاملة الأسرى، كما تم الاتفاق على أن كل عربي يلحق الأذى بجندي فرنسي أو مسيحي يخضع لعقوبة مالية، حيث تفرض دية مضاعفة على الذكر، 10 أضعافها على الأنثى، وكذلك تتم معاقبته بالجلد على رؤوس الأشهاد (بن ساعد، 2003-2004، صفحة 282).

وتراه يجني نهجا آخر يظهر في الميل نحو التسامح والسلام، كما يتجلى في تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع الأسرى الفرنسيين، حيث كان يفضل إيجاد حلول للمشكلات الاجتماعية بالحكم والذكاء، ومن هذا المنطلق فإن الانسان العاقل لا يسمح لنفسه بانتهاك حقوق الآخرين، ولا يجد مبررا لسفك دماء الآخرين مقتديا في ذلك بالرسول صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة، حين قال: (أن لا يجهزن على جريح ولا يتبعن مدبر ولا يقتلن أسير ومن أغلق عليه بابه فهو آمن) (حرشوش، 2021، الصفحات 28-29).

وقد طبق الأمير عبد القادر مبادئ الشريعة الإسلامية وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم في تعامله الأخلاقي والإنساني مع أسرى الحروب، وقد أورد "محفوظ قداش" في مقال له باللغة الفرنسية عن شهادات الأسرى الفرنسيين الذي كان من بينهم الكابتن موريزو (Murizo) الذي تكلم عن أسره مصرحا: "...بعد ساعات فتحت عيني فوجدت نفسي في معسكر سيدي مبارك بن علال، ولم أكن أصدق ما حصل لي إذ كنت أحتفظ برتبتي وأيضا بوسام الشرف وشعرت أنني في مأمن داخل الخيمة" (حرشوش، 2021، الصفحات 28-29)، وصرح أيضا هنري تشرشل قائلا: "...إن العناية الكريمة والعاطفة الرحيمة التي أبداهها عبد القادر نحو الأسرى ليس لها مثيل في تاريخ الحروب..." (تشرشل، 1994، صفحة 61).

وقد وصف أحد الأسرى معاملة الأمير مبينا تواضعه مع الأسرى قائلا: "عندما مررت بالسلطان حياني بجلال فريد وابتسامة مدهشة وأشار بيده للجلوس... ثم سألني في بناء تحصينات، فأجبتته بأنها تظهر لي جيدة... ويبدو أنه قد سر كثيرا من جوابي" (تشرشل، 1994، صفحة 138)، فقد تدل هذه الشهادة على

الفصل الثاني..... الأسرى الفرنسيون لدى المقاومة الشعبية

الحرية في تنقل الأسرى في معسكر الأمير عبد القادر، وهذا ما أكده الكولونيل سكوت (Secot) حين قال: "والحكومة هنا تسمح للأسرى جميعهم بالخروج والتجول في المدينة، حيث أنه لا يوجد أي خطر" (الكولونيل سكوت، 1981، صفحة 67).

ونجد أيضا موقف الأمير كان موقفا شجاعا ونادرا في تاريخ الحروب، حيث كان هناك ضابط شاب فرنسي يريد الانتحار وهذا خوفا من الأسر، فمنعه الأمير أولا ثم سأله عن سبب ذلك، فقال له: "أن العرب يذبحون الأسرى وهو يمثل أن يذبح نفسه بيده"، فرد الأمير قائلا: "لقد كذب عليك من قال لك هذا فأنت الآن حر طليق...عد إلى قومك وقل لهم أنني معجب بشجاعة جنودهم وأني لست كما يظنون من شاربي الدماء" (بن ساعد، 2004-2003، صفحة 285)، لم تقتصر المعاملة الطيبة للأمير عبد القادر على أهله وعشيرته وجنوده فقط، بل امتدت أيضا إلى الأسرى الفرنسيين، حيث أحسن إليهم وعاملهم معاملة كريمة، وهي الشهادة التي يوثقها "سكوت" في مذكراته قائلا: "معاملة الأسرى تبعث على الرضا والارتياح"، إذ حرم الأمير على جنوده قطع رأس أي أسير، وهذا ما يثبت زيف التقارير التي تزعم بأنهم لا يلقون أي رعاية أو عناية من العرب، وهي تتناقض هذه الأقوال تماما مع الواقع، إذ أن الأمير قد منح الأسرى الفرنسيين حتى سمحت لهم السلطات بالتجول بحرية داخل المدينة، بينما كان مصير العديد من المرتدين الذين حاولوا الفرار دون ارتكاب أي ذنب هو الإعدام بقطع الرأس، وفي هذا الشأن يذكر "سكوت" كذلك أنه اقترح على الأمير مبادلة الأسرى الفرنسيين والأجانب بالجزائريين لأن الأسرى الجزائريين يبقون بلا عمل، واستجاب الأمير للطلب ونقلوا من تلمسان إلى تكلت، ووضعت تحت عناية الأمير نفسه (سريح، 2022، صفحة 306).

في 14 ماي (1257هـ/1841م) سجل الأمير عبد القادر موقفا إنسانيا لافتا في تعامله مع الأسرى، حيث أحسن معاملة شخصية بارزة ألقى عليها القبض في سهول متيجة، وهو ماصون (Mason) مثل أمام الأمير ورفض كشف أي معلومات حتى وهو يواجه خطر الموت، إلا أن هذا الموقف أثار إعجاب الأمير، لم يكتف عبد القادر بالتسامح فقط، بل وفر له كل سبل الراحة، ومنحه فرسا لتزده والترويض، وسمح له بممارسة رياضة الصيد أثناء إقامته في تازا، ثم أطلق سراحه بعد أن تمت مبادلة الأسرى بين الجانبين، وقد جسد الأمير عبد القادر أروع صور التسامح حتى مع أعدائه، وخاصة الأسرى حيث عاملهم معاملة إنسانية راقية مستندا في ذلك إلى تعاليم الشريعة الإسلامية، وقد حرص على تحريم أي اعتداء عليهم، فأمر جنوده بعدم إيذائهم، بل وفر لهم الحماية والأمان الكاملين (سريح، 2022، صفحة 307).

استند الأمير في نهجه إلى الأسس الراسخة للدين الإسلامي، وتجسدت مواقفه الإنسانية النبيلة في ضوء تعاليم الإسلام، وهذا يعني أن معاملته للأسرى الفرنسيين لم تكن نابعة من رغبات شخصية أو مصالح ذاتية،

الفصل الثاني..... الأسرى الفرنسيون لدى المقاومة الشعبية

بل كانت قائمة على المبادئ الأخلاقية والقيم السامية التي يستمدّها الإسلام، والتي تدعوا إلى الرحمة والعدل وحتى في أحلك الظروف (غندوز، 2022، صفحة 94).

أجمعت الشهادات والكتابات سواء تلك الصادرة عن الضباط والجنرالات أو عن الأسرى أنفسهم على تفرد شخصية الأمير عبد القادر وعظمة مكانته مشيدة برشادته وحكمته في تصرفاته، ومؤكدة في الوقت ذاته على عمق إنسانيته ونبل أخلاقه، وقد ذكر هذا الأمر العسكري الأسير يوهان كارل بيرنت (Yohan Carl Birant)، وهو أسير فرنسي عاش لمدة ثلاث سنوات في أراضي دولة الأمير عبد القادر، حيث نعم خلالها بمعاملة إنسانية راقية، ومنذ اللحظات الأولى لأسره، سجل العديد من الشواهد التي تعكس حسن معاملة جيش الأمير وخلفائه، فبعد مرور يوم واحد فقط على اعتقاله، أشار إلى أن الأسرى طلب منهم النوم مطمئنين دون خوف، كما قدم لهم الخبز الطازج والحليب في دلالة واضحة على الاحترام والرحمة التي قبلوا بها (غندوز، 2022، صفحة 95).

ويقول هنري تشرشل عن الأمير عبد القادر وإنسانيته خاصة في معاملة الأسرى: "إن العناية الكريمة، والعاطفة الرحيمة التي أبداهها عبد القادر نحو الأسرى ليس لها مثال في تاريخ الحروب، فكبار الضباط المسيحيين عليهم أن يجلسوا عند قدميه، وأن يتمسحوا بهما لانحطاطهم في المعاملة..." (سيدي محمد، 2016-2017، صفحة 220).

وروايات معاملة الأمير الإنسانية لأسرى الحرب الفرنسيين كثير وعجيبة، منها أن أسيران أحضرا أمامه، فقالا: "أيها السلطان إننا نرغب أن نصبح مسلمين، وإننا مستعدان أن نعتنق دينك"، فأجابهما: "إن كنتما تفعلان ذلك عن طيب خاطر، فأهلا وسهلا بكما، ولكن إن كنتما تفعلان ذلك شعورا منكما بالخطر فأنتما مخطئان، فلو ظللتما مسيحيين، كما أنتما الآن، فلن يحدث لكما أي إزعاج، ولن تمس شعرة من رأسيكما، فكرا فيما سيحدث لكما لو عدتما إلى أهليكما بعد أن تخليتما عن دينكما، ألن يعاملوكما كما يعامل الكفار المجرمين؟ وكيف تأملان أن تستفيدا من المناسبة إذا ما حدث تبادل أسرى؟" (سيدي محمد، 2016-2017، صفحة 220).

من النادر جدا أن نجد قائدا وزعيما في زمن الحرب يحمل هذا النوع من التفطير الإنساني، فقد كان الأمير عبد القادر مثالا في الرقي والوعي، حيث امتلك مكتبة متنقلة واهتم بتعليم الأسرى، بل كان يخصص من ماله الخاص لتغطية نفقات تعليمهم، كما تظهر إنسانيته في تعامله مع تاجر أجنبي اشتكى من تعرضه للظلم من قبل تاجر مدينة الجزائر، فبمجرد أن وصل الأمر إلى الأمير سمح للتاجر بمراسلته والرد عليه بحرية، أما بالنسبة للأسير الألماني غاسيتنجر (Gessytenger)، فقد أرسل إلى الأمير في أحد معسكراته فانضم إلى جيشه وخدمه كسفير، ورغم أنه خان ثقته لاحقا، إلا أن الأمير سامحه وعفى عنه، في موقف يجسد أسى معاني التسامح، هذه الأخلاق الرفيعة كان لها صدى حتى لدى فرنسا وقاداتها، حيث أشار الأسير يوهان بقوله: "...إنه من واجبي أن

الفصل الثاني..... الأسرى الفرنسيون لدى المقاومة الشعبية

أعترف أيضا أن شخصية الأمير عبد القادر وحضوره كان يحدثان أثرا في نفسي بحيث أنني لم يكن من السهل علي أن أتخلى عنه..." (غندوز، 2022، صفحة 96).

2.2. التعامل مع النساء الأسيرات:

عند رؤية النساء السجينات كان الأمير ينزعج من هذا المنظر، إذ كان مجرد التفكير في احتمال أن تصبح المرأة ضحية للحرب مصدر قلق دائم، وفي هذا الصدد كان يوصي الأمير فرسانه ويقودهم في الهجوم قائلا: "لا تتعرضوا للحريم، أما أولئك الكلاب فعاملوهم بما يستحقون" (تشرشل، 1994، صفحة 134).

وفي إحدى المرات جلب أحد الفرسان للأمير أربع فتيات غنائم حرب، فبدت على وجهه علامات الاستياء والاشمئزاز وسخرية، قال: "إن الأسود لا تهاجم إلا الحيوانات القوية، بينما يقتصر أبناء آوى على افتراس الأضعف منها" (تشرشل، 1994، صفحة 134).

لذلك كان يتم نقل الأسيرات من السيدات الفرنسيات جميعهن إلى "الزماله"¹، حيث تعرضت معظمهن مثل الجزائريات للإصابة بحصى الملايا، لكن استثنيت طفلة تدعى "ماريا"، إذ أرسلت إلى مليانة وفقا لرواية "سكوت" لتسلم إلى الفرنسيين لاحقا في إطار تبادل الأسرى، وما تبقى منهن كانت ترعاه أم الأمير، وكانت تهتم بهن اهتمام بالغ، إذ قامت بجمعهن في خيمة قريبة من خيمتها التي كانت محاطة بالزنجيات، وكانت توفر لهن في كل صباح الزبدة، الزيت واللحم، كما حرصت على رعاية المريضات فكانت تقدم لهن كذلك الشاي والسكر والقهوة، وكل ما قد يخفف عنهن الألم ويوفر لهن الراحة سواء من المواد الغذائية الضرورية أو حتى الكمالية (بن ساعد، 2003-2004، الصفحات 283-284).

إن الأمير كان له عناية ومعاملة خاصة اتجاه النساء الأسيرات، حيث يقول ناصر الدين سعيدوني: "...هذه هي رحمة الأمير عبد القادر بالمرأة الأسيرة تحلى بالمنهج الإنساني حتى في حروبه..."، وحين شاع خبر حسن معاملة الأمير للأسرى بين الفرنسيين، رفضت السلطات الفرنسية مبدأ تبادل الأسرى خوفا من أن ينقل الأسرى المحررون لأهاليهم ما رأوه من كرامة وأخلاق نبيلة ومعاملة إنسانية تلقوها من الأمير، مما قد يؤدي إلى تعاطف الجنود معه وتمردهم على قيادهم، أما والدته فكانت مثالا يحتذى به في الحلم والرحمة، وقد أولت أسيرات الحرب من النساء عناية فائقة، فخففت عنهن ما استطاعت من معاناة، وجعلت مكانتهن قريبة من مكانتها، حتى إنها خصصت اثنتين من أمائهن ليقمن على خدمتهن ورعايتهن، وكانت ترسل إليهن كل صباح كل ما يحتاجونه في مشهد يفيض بالإنسانية والرحمة (غندوز، 2022، صفحة 97).

¹ الزماله: هي مدينة الأمير عبد القادر المنتقلة.

الفصل الثاني..... الأسرى الفرنسيون لدى المقاومة الشعبية

عند الرجوع إلى شتى المواقف التاريخية، يمكن استخلاص مشاهم عديدة تبرز إنسانية الأمير عبد القادر في تعامله مع النساء الأسيرات، فقد عبر تشرشل عن دهشته من نبيله وسمو أخلاقه مشيرا إلى أن الأمير لم يكن قاسي القلب رغم شدة بأسه، بل كان يتألم لمجرد تخيل المرأة كضحية للحرب، مما جعله يشعر بالقلق الدائم، أما والدته "لاله الزهرة"، فقد كانت مثالا للعطف والرعاية، إذ كانت تشرف بنفسها على أوضاع الأسيرات، فكان يقمن في خيمة قريبة من خيمتها الخاصة، تحت حماية امرأتين من وصفاتها، وكانت تمنع أي أحد من الاقتراب منهن دون إذن (دوحة، 2010، صفحة 302).

3.2. احترام خصوصيات الأسرى في ممارسة شعائهم الدينية:

في عام (1257هـ/1841م) بعث الأمير عبد القادر برسالة إلى أسقف الجزائر يناشده فيهما إرسال كاهن إلى الأسرى الفرنسيين، ليخفف عنهم معاناة الأسر ويساعدهم في التواصل مع ذويهم من خلال كتابة الرسائل التي يودون إرسالها لعائلاتهم وذويهم، وقد أكد الأمير في رسالته على ضرورة تمكين الأسرى من أداء شعائهم الدينية بحرية، باعتباره حقا إنسانيا أصيلا، وفي إطار رؤيته الإنسانية لم يكتف بذلك فقط، بل سعى إلى دمج الأسرى في المجتمع الجزائري العربي الإسلامي، وبدأ ذلك بتكليفهم بأعمال بسيطة كالمساعدة في المطبخ وتحضير القهوة، كما حرص على توفير لباس لائق لهم تأكيدا على حسن المعاملة وكرامة الانسان مهما كانت ظروفه (غندوز، 2022، صفحة 97)، إلى جانب هذا كان الأمير يحترم معتقدات الأسرى الدينية وبغض النظر عن اختلافه معهم، فقد كان يرفض تماما إجبار أي أسير على تغيير دينه تحت التهديد أو الإكراه، فقد كان يسبق عصره في احترام حرية المعتقد، إذ لم يكن يسمح للقساوسة بزيارة الأسرى أو التأثير عليهم بغرض دفعهم لاعتناق دين جديد لم يكن ذلك نابعا من موقف ديني فحسب، بل كان أيضا وسيلة للحفاظ على تماسكهم العاطفي والاجتماعي عبر السماح لهم بالتواصل مع رجال دينهم وأسرهم وتمكينهم من الحفاظ على كل ما يعينهم على التمسك بهويتهم (بن ساعد، 2003-2004، الصفحات 283-284).

كما اهتم الأمير عبد القادر الجزائري بضمان الحرية الدينية للأسرى، فسمح لهم بممارسة شعائهم وحضور اجتماعاتهم الدينية بحرية واحترام، وقد أمر جنوده بعدم إهانة أي أسير بسبب دينه، بل وكان يحاسب من يخالف ذلك، ويروي تشرشل أن أسيرا فرنسيا قال يوما للأمير إنه يفضل الموت على ترك دينه فرد عليه الأمير مؤكدا احترامه لعقيدته، وأنه لا يكره أحدا على تغيير دينه، وقد تجلّى هذا الموقف الإنساني في سلوك الأمير مرارا، حتى في أوقات الحرب، مما عكس تمسكه العميق بقيم التسامح الديني والكرامة الإنسانية (دوحة، 2010، صفحة 301)، نستنتج من هذا أن الأمير عبد القادر الجزائري اعتبر قضية الأسرى مسألة جوهرية ذات بعد دولي، فحرص على تنظيمها وفق مبادئ إنسانية صارمة وأمر جنوده باحترامها وتطبيقها باعتبارها جزءا من السيادة، ويعد بذلك من أوائل من أسسوا لمبادئ القانون الدولي الإنساني، من خلال تعامله المتقدم مع أسرى

الفصل الثاني..... الأسرى الفرنسيون لدى المقاومة الشعبية

الحرب، وذلك قبل أن يظهر هنري دونان بفكرته عن تأسيس لجنة الصليب الأحمر، بل وقبل توقيع اتفاقية جنيف التي تعتمد رسميا إلا في عام (1281هـ/1864م)(المليق، 2019، صفحة 160).

يروى بونغران موريس أنه تصادف مع فرنسي وزوجته إسبانية فتعرف عليهم ، وقام يروي له قصة أسره لدى الجزائر أو بالأحرى لدى الأمير عبد القادر، حيث كان يقول: "كانت الحاجة أكثر إلحاحا هي بناء ملاجئ لأنفسنا وكنا نعاني أيضا من البرد في الليل والحرارة أثناء النهار وكان موسم الأمطار يقترب...نرى أننا كنا محميين بشكل أفضل بسبب صعوبة القرار" (Bongrain, 1864, p. 71)، وقال كذلك: "كان السجناء عموما على علاقة طيبة بحراسهم، لم يتعرض أي جندي لأي نوع من سوء المعاملة أو المضايقة، في إحدى المرات تلقى جندي عربي ثمانين ضربة بعصا، وسجن لرميه حجرا على أحدنا" (Bongrain, 1864, p. 78).

كما عامل الشيخ بوعمامة أسراه معاملة متميزة، تميزت بالرحمة والاحترام لكرامة الانسان، حيث وفر لهم جميع حقوقهم الأساسية من مأكّل وملبس ورعاية صحية وراحة، وذلك على عكس المعاملة الوحشية التي كان يتلقاها الأسرى الجزائريون لدى الجيش الفرنسي.

III. مصير الأسرى الفرنسيين:

في ظل المواجهات المستعمرة بين المقاومة الشعبية وقوات الاحتلال الفرنسي وجدت بعض العناصر الفرنسية نفسها في وضع الأسر، وفي قبضة المقاومة الشعبية في ظروف لم تعرف تفاصيلها الكاملة، وقد تدخلت في مصير هؤلاء الأسرى مسارات مختلفة وهذا ما سندرسه.

1. التبادل:

كان الأمير عبد القادر المؤمن حريصا على احترام الانسان، فبادر إلى اتخاذ خطوات مهمة تعكس هذا المبدأ، حيث سعى إلى تنظيم تبادل الأسرى بين الجانبين بشكل منتظم، وعندما وصل المندوبان الفرنسيان اللذان أرسلهما أسقف الجزائر "دوباش"، لم يكن الأمير مستعدا للحديث بشأن الأسرى بسبب انشغاله بالجهاد، لكنه استجاب لا حقا بعد تلقيه رسالة ثانية من الأسقف، والتي كانت تتضمن طلبا للإفراج عن أسير واحد فقط (بن ساعد، 2003-2004، صفحة 289)، وأوضح الأمير في رده أنه لا يمتلك الذهب أو الفضة، وأن ما يملكه فقط هو الدعاء والاعتراف بالجميل، كما أشار إلى أن رسالة الأسقف تضمنت قيم الأخوة وخدمة الإنسانية، وهو ما حملته على التفكير في طلب الافراج عن جميع الأسرى المسيحيين بدلا من أسير واحد (بن ساعد، 2003-2004، صفحة 289)، وقد رفض الأمير أن يمنح الحرية لعدد قليل منهم فقط، بل أراد تحقيق العدالة بمنح الحرية للجميع، ورد على طلب الأسقف قائلا: "إذا كنت ترى أن من العدل أن تمنح الحرية لاثنتين أو ثلاثة فقط فلتعلم أن هناك مئات المسيحيون لا يزالون يعانون في سجونكم أيضا" (تشرشل، 1994، صفحة 201).

الفصل الثاني..... الأسرى الفرنسيون لدى المقاومة الشعبية

لم يكن الأمير عبد القادر مهتما بجمع المال، بل كان يسعى لإطلاق سراح الأسرى، فقد أبدى رغبته في تسليم جميع الأسرى الفرنسيين مقابل الإفراج عن عدد من مساعديه والمعتقلين في سجون العاصمة، لكن الفرنسيين لم يبدوا اهتماما بتبادل الأسرى باستثناء الأسقف "سوشيه" الذي حاول التدخل مؤكدا على قيم الإنسانية والاحترام المتبادل (بن ساعد، 2003-2004، صفحة 290).

أعلن الأمير استعداداه لإطلاق سراح الأسرى الفرنسيين فورا مع ضمان معاملتهم بكرامة، وعندما تم الافراج عنهم استقبلهم المجاهدون باحترام، مما عكس القيم الأخلاقية التي تمسك بها الأمير، وقد ثق في ذلك وثيقة رسمية تؤكد شرف وأمانة تبادل الأسرى، وكانت هذه العملية من أبرز عمليات تبادل الأسرى، حيث تم تبادل 130 أسيرا 34 جزائريا، 48 امرأة و39 طفلا مقابل أسيرا فرنسيا، وعلى الرغم من صعوبات سياسة وعسكرية كادت تعرقل العملية، إلا أنها تمت بنجاح في 21 ماي (1257هـ/1841م) في لقاء تاريخي بمنطقة معروفة بـ "سيدي خليفة" يكون ذلك حدثا نادرا في تاريخ العلاقات بين الطرفين (بن ساعد، 2003-2004، الصفحات 290-291).

كذلك توجد عملية أخرى تم إطلاق سراح 56 سجين فرنسي لدى الجزائريين سنة (1257هـ/1841م) من خلال رسالة من طرف السيد دوبوش، وهذا إطلاق السراح كان مجانا تماما (Charles, 1870, p. 9). كذلك تذكر المصادر أنها توجد عملية تبادل مشحونة بالرمزية التاريخية، تم تبادل الأسرى الفرنسيين والجزائريين بحضور الأمير عبد القادر كذلك الأسقف الفرنسي، وتمت هذه العملية في أجواء يسودها الاحترام والهدوء حيث احتضنوا بعضهم كما احتضنهم محرروهم، وقد عبر عبد القادر عن فخره بالإسلام ورفضه للقتال إلا دفاعا عن المسلمين قائلا: "الحمد لله، سأموت من أجل وطني" فتتعالى الأصوات المسيحية في مشهد وطني مؤثر، في المقابل يظهر إعجاب الأسقف الفرنسي بروح التضحية لدى المسلمين، أما الحكومة الفرنسية فقد رغبت في تتويج التفاهم باعتراف يليق بمكانته (Charles, 1870, pp. 42-43).

في سياق التبادل كذلك قال جوليان (Julien): "لقد تم تبادل 180 سجيناً فرنسياً مقابل 159 جزائرياً"، وقال أيضاً: "بأنه أرسل راهبا يطلب 54 أسيرا فرنسيا آخر" (حرب، 2005، صفحة 555)، وفي 27 من يونيو تم إرسال رسالة إلى حاكم تيزي وزو تبلغه بأن اجتماعا سيعقد في اليوم التالي مع 44 مدنيا أوروبيا، سبق هذا اللقاء اجتماع أولي جمعه بهم في برج منايل، وعند حلول الموعد المحدد وصل المبعوثون الاوروبيون إلى مسجد سيدي بوهير رفقة محمد أمقران أوقاسي، ومحمد السعيد موسى، أحمد بن ياسر وأحمد بن محي الدين، ومن هناك توجهوا إلى سبت آيت يحي، حيث استلم القائد العام الفرنسي هؤلاء الأسرى (العسلي، 2010، صفحة 109).

تم تبادل أسرى فرنسيين الذين تنكروا بزي شعبي ودخلوا مدينة المنيعه في (1300هـ/1883م) بأسرى جزائريين في مدينة عين صالح (رموم، د.ت، صفحة 62).

2. الهروب:

عرفت بعض فترات المقاومة الشعبية محاولات هروب من طرف الأسرى الفرنسيين المحتجزين لدى الجزائريين، حيث كانوا يسعون لاستغلال أي فرصة للفرار والعودة إلى صفوف جيشهم، خاصة في ظل طول مدة الأسر أو صعوبة التكيف مع ظروف الاحتجاز، رغم أن المعاملة لم تكن قاسية في كثير من الحالات. تم هروب من طرف أسير دون صعوبة، سار الهاربان معا لبعض الوقت لكن نشأ نقاش بينهما حول الطريق الذي يجب اتباعه، فكان من سوء حظهما أن انفصلا، قتل جانييه (Jangeih) بين بني سناسن، وتمكن برنارد (Burnard) الذي كان أكثر سعادة من صديقه من الوصول إلى لالا مارنيا بعد تسعة أيام من النضال ضد الوحدة والجوع (Bongrain, 1864, p. 85).

في النصف الثاني من شهر شباط سنة (1261هـ/1845م) حاول بعض الأسرى الفرار من المعسكر لعلمهم بذلك يلتحقون بأقرب مركز فرنسي ويفيدون رؤسائهم عن حقيقة الأسر (حرب، 2005، صفحة 556).

استنتاج الفصل:

لقد أولت المقاومة الشعبية الجزائرية خلال فترة الاحتلال الفرنسية أهمية خاصة لمسألة القبض على الجنود الفرنسيين، حيث كانت هذه العمليات جزءا من إستراتيجية عسكرية مدروسة تقوم على المباغثة واستغلال المعرفة الدقيقة بالتضاريس، كان الهدف منها الضغط على العدو، والحصول على المعلومات أو تنفيذ عمليات التبادل.

من ناحية المعاملة فقد تميزت في كثير من الأحيان بطابع إنساني، رغم الظروف القاسية للحرب، حيث حرصت بعض القيادات مثل: الأمير عبد القادر على معاملة الأسرى باحترام وفقا لمبادئ الإسلام، وقد شكلت هذه المعاملة النبيلة مفارقة واضحة مع ما كان يلاقيه الجزائريون من تعذيب وسوء معاملة في سجون الاستعمار، أما مصير الأسرى فكان يختلف حسب الظروف والمرحلة فالبعض جرى استخدامهم للتبادل أو الاحتفاظ بهم كورقة ضغط، بينما البعض الآخر قام بالهروب والنجاة من الأسر.

وقد نقل الأسرى الذين كانوا في قبضة المقاومة الشعبية الجزائرية شهاداتهم لما تناولوه أثناء فترة الأسر، وعر مجملهم عن انبهارهم بما لقوه من معاملة، خاصة أسرى الأمير عبد القادر، وكان ذلك جليا في كتاباتهم ومذكراتهم الشخصية، رغم أن البعض منهم حاول تضليل وتزوير الحقيقة، مثلما فعل الأسير الألماني فندلين شلوفر، الذي كان أسير لدى الداى أحمد باي في قسنطينة، والذي ذكر العديد من التفاصيل في كتابه قسنطينة أيام أحمد باي. حيث حاول تشويه شخصية أحمد باي ونظام حكمه لمدينة قسنطينة، رغم أن أحمد باي كان يثق فيه وقلده العديد من المناصب والمهام حتى العسكرية منها.

الفصل الثالث:

نماذج عن أهم الأسرى

تمهيد الفصل:

في ختام هذا البحث، يأتي هذا الفصل الأخير ليسلط الضوء على نماذج حية من واقع الأسرى لدى الطرفين، سواء من الجزائريين الذين عانوا داخل السجون والمعتقلات الفرنسية أو من الفرنسيين الذين وقعوا في قبضة المقاومة الشعبية، وقد تمكنا من عرض نماذج متعددة لأسرى جزائريين بفضل وفرة المصادر المتاحة، في حين لم نتمكن إلا من الوقوف على حالة واحدة فقط لأسير فرنسي، وذلك بسبب ندرة المعلومات وضعف التوثيق في هذا الجانب، مما يعكس صعوبة الوصول إلى تفاصيل دقيقة حول الأسرى الفرنسيين لدى المقاومة، وعليه سوف نتطرق في هذا الفصل إلى ما يلي:

I- الأسرى الجزائريين لدى فرنسا:

(1) الأمير عبد القادر.

(2) سي عزيز الحداد.

(3) محمد بن عبد الله "بومعزة".

II- الأسرى الفرنسيين لدى الجزائر:

(1) فندلين شلوصر.

1. الأسرى الجزائريين لدى فرنسا:

1. الأمير عبد القادر:

1.1. المولد والنشأة:

يعد الأمير عبد القادر من أبرز الشخصيات في تاريخ الجزائر المعاصر، حيث قاد المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي بين عامي (1248هـ/1832م-1263هـ/1847م)، تميز بعمله الواسع في الدين والفكر، وكان شاعرا مثقفا بارزا، كما عرف بصفاته النبيلة مثل الشجاعة، الحكمة، التسامح، والالتزام الأخلاقي، وقد نال احترام وتقدير العالم، وأصبح رمزا للحرية والشجاعة والكرامة.

ولد عبد القادر بن محيي الدين في منطقة وادي الشلف بقرية القيظنة، بتاريخ 23 ربيع الثاني 1222هـ الموافق لسنة 1807م، نشأ في أسرة متدنية واثقفة، فحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، ودرس اللغة العربية، العلوم الدينية، كما تلقى المبادئ السياسية والديبلوماسية (ولد الحسين، 2010، صفحة 9).

2.1. محطات أسر الأمير عبد القادر الجزائري في فرنسا:

امتدت فترة أسر الأمير عبد القادر الجزائري قرابة خمسة سنوات كاملة، ذلك أنه صار وصحبه أسرى لدى فرنسا منذ ركوبهم باخرة "الاسمودي" عشية 24 سبتمبر (1263هـ/1847م)، وإلى غاية إعلان رسمي للويس نابليون الثالث عن إطلاق سراح الأمير وجميع المعتقلين معه يوم 16 أكتوبر (1268هـ/1852م)، وقد مر أسر الأمير عبد القادر بعدة محطات أهمها:

1.2.1. المحطة الأولى بطولون (ديسمبر 1263هـ/1847م) -أفريل (1264هـ/1848م):

لم تلتزم السلطات الفرنسية بوعدها للأمير ومرافقيه من الشيوخ والنساء والأطفال، فبعد خمسة أيام من الإبحار على متن سفينة "الاسمودي"، التي كان من المفترض أن تتجه نحو الإسكندرية، صدر أمر مفاجئ في 29 ديسمبر (1263هـ/1847م) بتغيير مسارها نحو ميناء "طولون" العسكري الكبير، والذي يضم عددا من المنشآت العسكرية (تشرشل، 1994، صفحة 256)، وعند وصولهم تم إنزالهم في منطقة تعرف بـ "لازاريت"، وهي شبه جزيرة تقع بجانب الميناء، كانت في السابق مخصصة لعزل المصابين بالأمراض المعدية، ومنذ اللحظة الأولى لوصولهم شرعت البحرية الفرنسية في إعداد مكان إقامتهم هناك (بقيق، 2009-2010، صفحة 71)، وتم استسلام الأمير في ديسمبر (1263هـ/1847م)، بعد أن فقد شروط التفاوض ووسائله، لم يكن أمام الأمير سوى الاستسلام خصوصا بعد أن تخلت الدولة العثمانية عن دعمه وأرغمته على مغادرة الأراضي الجزائرية، رفض الأمير في البداية العرض الفرنسي، لكنه اضطر لاحقا إلى قبوله بعد أن فشلت جميع المحاولات لإيجاد حل بديل (ولد الحسين، 2010، صفحة 11)، ورغم التبريرات التي قدمتها السلطات الفرنسية للأمير لإقناعه بالبقاء في فرنسا مؤقتا بحجة انتظار التشاور مع خديوي مصر لتأمين ضمانات تمنع عودته إلى الجزائر، إلا أن الأمير بدأ

الفصل الثالث..... نماذج عن أهم الأسرى

يشعر بالخداع والمكر، وقد انتابه الحزن والأسى لما أصاب عائلته وأصدقائه، خاصة بعدما وصله خبر ترحيل عدد منهم إلى منطقة "فور لامالغ" شرق طولون، حيث جعلوا في حكم الأسرى الدائمين لدى فرنسا، فصرح حينها لـ "دوماس" (Dumas) الذي عين الأمير بحكم اتفاقهما العربية، قائلا: "...إني لا أرى فرنسا إلا سجنا لي ولمن معي، لقد أردت أن أكون ضيفا على بارجتكم، لا أسرى بين أيديكم..." (بقيب، 2009-2010، صفحة 71).

2.2.1. المحطة الثانية في قصر "بو" (أفريل 1264هـ/1848م):

يعد قصر "بو" الواقع بمدينة "بو" في جنوب غرب فرنسا، المحطة الثانية لأسر الأمير عبد القادر ومرافقيه في أراضي الاستعمار الفرنسي، فقد قررت السلطات الفرنسية نقل الأمير وجميع الأسرى الجزائريين من حصن "فور لامالغ" إلى قصر الملك هنري الرابع، المعروف باسم "قصر بو"، وذلك بتاريخ 29 أفريل (1264هـ/1848م)، وفي هذا القصر خصصت للأمير ومرافقيه شقق وأجنحة في الطابقين الثاني والثالث، حيث كان الأمير عبد القادر يقضي نهاره مع أفراد عائلته، أما في الليل فكان ينقل تحت حراسة مشددة عبر نفق داخلي إلى "برج غاستون"، وذلك تفاديا لأي محاولة هروب، نظرا لقرب القصر من الجبال والبح، وفي هذه المحطة من الأسر تيقن الأمير عبد القادر تماما أنه ومرافقيه قد أصبحوا بالفعل في قبضة فرنسا كأسرى دائمين، ولم يعد قادرا على تحمل المعاناة ومعاناة رفقائه وعائلته، مما دفعه إلى مخاطبة الجنرال دوماس (Dumas) معبرا عن استيائه وحزنه العميق، قائلا: "لمن أتوجه حتى أحصل على إرسال إخوتي إلى الإسكندرية التي يمكنهم الانطلاق منها إلى مكة؟ لقد جاءوا للانضمام إلي بكل طيبة خاطر، وهم على قناعة بأنكم ستوفون بالوعد الذي قطعته لي، لا يمكن ارتكاب خيانة مزدوجة بحقي، لماذا جعلتموهم يشاطرون قدرتي؟ وكانت المسبحة بندقيتهم الوحيدة..." (موسم، 2022، صفحة 113).

بعد أن فقد الأمير عبد القادر الأمل في إطلاق سراحه وسراح مرافقيه، واشتد عليه الشعور بالإهانة نتيجة تكرار نقله هو وأسرته من مكان إلى آخر، قرر أن يطلع عائلته ومرافقيه على حقيقة الوضع الذي آلو إليه، خاصة بعد أن خالفت فرنسا وعودها، هذا الإحساس بالظلم دفعه إلى التعبير عن رفضه للأسر غير العادل من خلال مراسلات عديدة وجهها إلى المسؤولين الفرنسيين (موسم، 2022، صفحة 113).

وفي سياق الحديث عن فترة أسره ومرافقيه بقصر "بو"، تجدر الإشارة إلى أن هذه المرحلة تشهد أي جهود حقيقية من طرف السلطات الفرنسية لإطلاق سراحهم، بل إن الشكاوى والمطالب التي تم توجيهها إلى وزارة الحرب الفرنسية لم تغير شيئا من أوضاعهم.

وعلى الرغم من الزيارات المتكررة التي تلقاها الأمير من شخصيات فرنسية بارزة ذات مكانة سياسية وعسكرية، مثل القائد المخضرم في الحروب النابليونية بونييار (Bounniar) والبرلماني ألفريد (Alfred) التابع

الفصل الثالث..... نماذج عن أهم الأسرى

للحزب الملكي الكاثوليكي، والأسقف الأول للجزائر دوبوش أنطوان (Antoine Dubouche)، إلا أن حياة الأمير وأسرته استمرت على نفس الوتيرة من المعاناة دون أي تحسن يذكر (موسم، 2022، صفحة 113).

3.2.1. محطة الأسر الأخيرة في قصر أمبواز (نوفمبر 1264هـ/ 1848م) - أكتوبر (1268هـ/ 1852م):

بعد أن قضى الأمير عبد القادر ومرافقيه ستة أشهر في قصر "يو" قررت الحكومة الفرنسية نقلهم إلى قصر "أمبواز" الواقع في جنوب غرب باريس، ضمن مقاطعة "أوليان"، وفي الثالث من نوفمبر (1264هـ/ 1848م)، غادر الأمير المدينة تحت حراسة أمنية مشددة برفقة مرافقيه، متجهين أولاً نحو مدينة "بورديو" ومن هناك استقلوا سفينة "الكيمان" التي أوصلتهم إلى مدينة "نانت"، حيث حظي الأمير ومرافقوه باستقبال رسمي من قبل والي المنطقة، وبعد ذلك نقلوا إلى قصر "أمبواز" في وقت متأخر من ليلة الثامن من نوفمبر من نفس السنة، وقد حظي خبر وصول الأمير ومرافقيه إلى قصر "أمبواز" باهتمام واسع من الصحافة الفرنسية التي أولت الحدث تغطية كبيرة، إذ نقرأ نقلاً عن لويس جوسيرو (Louise Joséro) ضمن صفحات جريدة "لوبروقرس" الصادرة بتاريخ 10 نوفمبر (1264هـ/ 1848م) ما يلي: "وصل عبد القادر إلى أمبواز على الساعة 23:30، أين حضر العديد من السكان وقد أنزل العرب على رصيف الميناء المحادي للجسر، وجلسوا على شكل دائرة كعادة العرب في الجلوس إلى أن حملتهم العربات المنتظرة على الرصيف إلى قصر أمبواز..."، ولم يمضي شهر واحد على وصول الأمير عبد القادر إلى قصر "أمبواز"، حتى بدأت بوادر تخفيف عن معاناته في الأسر، وذلك تزامناً مع انتخاب لويس نابليون بونابرت رئيساً للجمهورية الفرنسية الثانية، وقد بدأت تظهر لدى الأمير بوادر أمل جديدة، خاصة مع انتشار تسريبات تشير إلى نية الرئيس الجديد في اتخاذ خطوات نحو الإفراج عن الأسرى وإنهاء معاناتهم (موسم، 2022، صفحة 114).

اشتدت معاناة الأمير عبد القادر داخل سجن أمبواز، خاصة مع تفاقم الأوضاع الصحية وازدياد عدد الوفيات بين أفراد عائلته ومرافقيه، وبلغت ذروتها سنة (1268هـ/ 1852م)، حيث فقد نحو 25 شخصاً من أقرب الناس إليه، من بين هؤلاء زوجته الصغرى وابنته، وزوجة وأبناء شقيقه، وقد تعرض المعتقلون لهذه المآسي نتيجة الظروف القاسية التي عاشوها داخل دهاليز سجن أمبواز، حيث الظلام الدائم، وسوء التهوية وانعدام شروط النظافة، إضافة إلى وجود حمام واحد فقط لا يكفي الجميع، كما ساهمت البرودة القارسة والرطوبة العالية التي لم يكن المعتقلون معتادون عليها، في تدهور صحتهم إلى جانب نقص المواد الغذائية وانتشار الأمراض، وسلم الأمير عبد القادر أمره إلى الله، ولم يجد ما يخفف عنه وطأة اليأس والفراغ الثقيل سوى الانشغال بالعبادة والتأمل والمطالعة والتدريس والخطابة والبحث في قضايا العقل والأخلاق واللغة والتصوف، فقد كان يقضي وقته في الإفادة والبيان، وقرأ على أصحابه "رسالة ابن أبي زيد القيرواني" و"صحيح البخاري"، و"كتاب الشفاء للإمام عياض" (غربي، 2021، الصفحات 37-39).

الفصل الثالث.....نماذج عن أهم الأسرى

وفي محاولة لاختبار رد فعل الرأي العام الفرنسي، وكذلك المعارضين السياسيين والعسكريين، وتمهيدا لإطلاق سراح الأمير قامت السلطات الفرنسية بالإفراج عن 19 شخص من مرافقيه، وسمحت لهم بالعودة إلى الجزائر، كما اقترح بعض المسؤولين على الأمير أن يخرج من عزلته داخل السجن، ليظهر نواياه الحسنة تجاه الحكومة الفرنسية، خاصة أمام أولئك الذين كانوا يحرسون على المطالبة بإطلاق سراحه، ويكنون له احتراماً كبيراً لما بلغهم عنه من أخبار تتحدث عن زهده، وعلمه واتساع أفقه، خلف أسوار السجن (غربي، 2021، صفحة 39).

3.1. إطلاق سراح الأمير عبد القادر:

حضر إلى الأمير في أمبواز الإمبراطور نابليون الثالث فبشره بإطلاق سراحه، وأهداه سيفاً مرصعاً، وقال له: "لقد سلمت سيفك إلى فرنسا ولكن فرنسا لا تريدك أن تخرج بلادها بدون سيف، وها أنني أقدم لك هذا عوضاً عن ذلك"، وقد خصص للأمير مبلغ سنوي قدر بخمسة آلاف ليرة فرنسية، وبعد خروجه من الأسر، توجه أولاً إلى باريس، ثم سافر منها إلى العاصمة العثمانية (الآستانة)، حيث استقبل من قبل السلطان عبد المجيد خان بحفاوة كبيرة، وقد أكرمه وأهداه داراً فخمة للإقامة في مدينة بورصة (أباظة، 1994، صفحة 13).

2. سي عزيز الحداد:

1.2. لمحة عن حياة عزيز الحداد:

هو عزيز بن محمد أمزيان بن علي (Ben Mohammed, 1873, p. 81) بن محمد الحداد (Ben Mohammed, 1873, p. 78)، مفترض أنه مولود سنة (1258هـ/1842م) في قرية أحد أدن صادق ببجاية، يعود الافتراض إلى التاريخ المنسب في العارضة المقدمة في محكمة الجنايات عندما تمت محاكمته (فايد، جوانب من حياة الشيخ سي عزيز ابن الحداد، د.ت، الصفحات 65-66)، وهو الابن الثاني لشيخ محمد الحداد (ولد الحسين، 2010، صفحة 16)، ويعود بسبب تلقيهم بالحداد إلى مهنة الحدادة التي كان يشتغلها جده الأكبر (Ben Mohammed, 1873, p. 81)، وكان دائماً بن علي الشريف يسخر منه بسبب هذه المهنة، إلا أن عزيز يرى أن هذه المهنة شريفة وهو يفتخر بها، متزوج بثلاثة نساء وله أربعة أولاد (فايد، جوانب من حياة الشيخ سي عزيز ابن الحداد، د.ت، صفحة 66)، ومن أهم المناصب التي اشتغل بها هي قائد عموشة في ملحقة تاكيتونت وفارس الشرف بالمنطقة، وعندما عينت السلطات الفرنسية بن علي الشريف باشاً أغا على شلاطة قام سي عزيز بتقديم استقالته (ولد الحسين، 2010، صفحة 16).

2.2. دوره في ثورة (1288هـ/1871م):

تختلف الروايات عن موقف سي عزيز من الدعوة التي وجهها المقراني لعائلة الحداد، فمنهم من يقول أن سي عزيز قال لأبيه أن يرفض هذا الطلب بسبب سنه الكبير (فايد، جوانب من حياة الشيخ سي عزيز ابن

الفصل الثالث.....نماذج عن أهم الأسرى

الحداد، د.ت، صفحة 68)، وهناك من يقول أنه لولا سي عزيز لما قبل والده الشيخ الحداد التعاون مع المقراني في وجه الاحتلال الفرنسي، وفي حين يشكك يحي بوعزيز في هذه الروايتين مطرقا أن الشيخ عزيز الحداد قام بتنظيم اجتماع لأجل الاستفتاء حول طلب المقراني، وتم من خلاله إعلان خلافة سي عزيز وأخيه لوالدهما، ومهما اختلفت الروايات إلا أن سي عزيز انضم إلى الثورة هو وعائلته وعدد كبير من التابعين له.

ركز سي عزيز في عمله على ثلاث نقاط في منطقة القبائل، وهي التعبئة العامة، وذلك (فايد، جوانب من حياة الشيخ سي عزيز ابن الحداد، د.ت، صفحة 69) من خلال اقتناعه أنه لا بد من العمل على انتشار الثورة وتوسيعها لا تنظيمها فقط، وهذا في منطقة وادي الصومام (ولد الحسين، 2010، صفحة 16)، وكذلك أمر بإشعال النيران على الأماكن المرتفعة لأجل انتشار صدى الثورة بشكل أكبر، واشتغل أيضا في تقسيم الثوار إلى القسم الأول قاده بنفسه والثاني قاده أخوه وحتى الاستخبارات لأنه قد تطفن لأهميتها في التنظيم العسكري (فايد، جوانب من حياة الشيخ سي عزيز ابن الحداد، د.ت، صفحة 70).

تم الإعلان صبيحة يوم 4 أفريل (1288هـ/1871م) من طرف الشيخ الحداد في ساحة السوق بصدوق عن انطلاق الجهاد الفرنسي، قائلا: "بعون الله سيكون من السهل علينا أن نرمي بالفرنسيين في البحر الذي جاء بهم" (يحاوي، د.ت، صفحة 61)، كما جمع عزيز أهم الرجال الذين تدربوا تدريباً جيداً وأطلق هجوماً على لوباسي الذي كان متوجهاً إلى بقايات، لكنه اضطر لرجوع إلى متيجة، وفي نهاية أفريل انتقل عزيز إلى البابور منظماً عصياناً إلى نهاية جوان، ويمكن القول أن المعارك التي خاضها عزيز في هذه الفترة جد صعبة بسبب عدم استطاعته تزويد الثوار بالسلح، وخاض بخسائر فادحة تارك وراءه 150 قتيلاً، وتوجه عزيز إلى جرجرة في 24 أو 25 جوان أين وقع بينهم صراع عنيف انتهى باستشهاد 400 شخص (ولد الحسين، 2010، صفحة 17).

في يوم 30 جوان (1288هـ/1871م) تقدم عزيز الحداد مع مجموعة من المناضلين إلى معسكر آيت هيشم، وسلموا أنفسهم إلى قوات الجنود الجنرال لالمان، الذين تم معاملتهم كأسرى حرب (فايد، قادة ثورة المقراني والحداد أما محكمة الجنايات بقسنطينة سنة 1872م، 2017، صفحة 154)، وذلك بسبب طلبه إلى الجنرال لالمان الذي طلب فيه العفو عن جميع السكان الذين ينفذون أوامره، وكان هذا الجنرال معجب كثيراً بشجاعة سي عزيز (فايد، جوانب من حياة الشيخ سي عزيز ابن الحداد، د.ت، صفحة 71)، وجاء بهذا الاستسلام إلى تحويله إلى المحكمة.

3.2. محاكمته ونفيه:

كانت السلطات الفرنسية حريصة كثيراً على إبقاء قادة الثورات الشعبية أحياء، وذلك حتى تشفي غليلها منهم وتحاكمهم وتصدر عليهم أقصى العقوبات (فايد، قادة ثورة المقراني والحداد أما محكمة الجنايات بقسنطينة سنة 1872م، 2017، صفحة 155)، وهذا ما تم فعله مع عزيز وأهله، حيث تم تقديمهم إلى محكمة

الفصل الثالث.....نماذج عن أهم الأسرى

الجنايات بقسنطينة في 21 سبتمبر (1289هـ/1872م)، ودامت محاكمتهم مدة سبعة أشهر (بوعزيز، عودة إلى نهاية حياة الشيخ عزيز بن الحداد في المنفى، 1986، صفحة 120)، وقد جاء في محضر السي عزيز أنه متهم بارتكابه الجرائم التالية:

← تحريض السكان على التمرد وتخريب الممتلكات العامة والخاصة ونشر الفوضى والتخريب (ولد الحسين، 2010، صفحة 18)؛

← محاربته لأصدقاء فرنسا في بلاد القبائل سواء بمفرده أو بمعية بعض الأشخاص (فايد، جوانب من حياة الشيخ سي عزيز ابن الحداد، د.ت، صفحة 71).

ويزعم سي عزيز أن كل من شهد في المحكمة ما هم إلا خونة (Ben Mohammed, 1873, p. 97)، لأنهم هم من دفعوه إلى وعائلته الثورة، وذكر منهم ابن علي الشريف، باشاغا شلاطة والذي وصفه بذو الوجهين (فايد، جوانب من حياة الشيخ سي عزيز ابن الحداد، د.ت، صفحة 71)، وصدر الحكم بعد ذلك، وفي 17 أفريل (1290هـ/1873م) بالإعدام في حق عزيز، لكن تم تطبيق المادة رقم 43 من مرسوم 16 مارس (1268هـ/1852م) إلى:

← نفيه إلى كاليدونيا الجديدة (ولد الحسين، 2010، صفحة 18)؛

← الحكم بالسجن على الشيخ الحداد لمدة 5 سنوات، لكن بلغته المنية بعد 5 أيام من نطق الحكم؛

← الحكم بالسجن الفردي لمدة 10 سنوات، لكن تم تبديله إلى النفي إلى كاليدونيا الجديدة (فايد، جوانب من حياة الشيخ سي عزيز ابن الحداد، د.ت، صفحة 71).

وقامت المحكمة كذلك بموجب قرار رقم 208 مصادرة كل أملاك عائلة الحداد (فايد، جوانب من حياة الشيخ سي عزيز ابن الحداد، د.ت، صفحة 72)، وأبحر نحو كاليدونيا الجديدة في 31 أوت (1291هـ/1874م)، ودامت الرحلة حوالي خمسة أشهر (ولد الحسين، 2010، صفحة 18).

4.2. حياته في المنفى وقراره:

تم وضع عزيز مع حوالي 50 جزائري مشاركا في ثورة (1288هـ/1871م) في معسكر العرب يقع في وسط كاليدونيا الجديدة، يقضون مجمل وقتهم في الأعمال الزراعية لأجل تلبية حاجياتهم اليومية، مآدين شعائهم الدينية في خشوع تام، ومع وقوع ثورة الكناك (Canaque) في (1296هـ/1878م) بكاليدونيا، تم صدور قرار العفو العام بباريس في 11 جويلية (1299هـ/1880م)، لكن صدر قانون 21 أفريل (1299هـ/1881م) بتضييق العفو عن المرحلين الجزائريين لكاليدونيا أي تم الصفح عنهم، لكن تم فرض الإقامة هناك (ولد الحسين، 2010، صفحة 19)، وفي هذه الفترة كان سي عزيز يرسل رسائل شوق وحنين لأهله، ورسائل طلب العفو من السلطات الفرنسية (فايد، جوانب من حياة الشيخ سي عزيز ابن الحداد، د.ت، صفحة 72)، وأرسل رسالة إلى السلطان

الفصل الثالث..... نماذج عن أهم الأسرى

العثماني عبد الحميد سنة (1298هـ/1880م) يذكر له فيها معاناة الأسرى الجزائريين أثناء نقلهم ونفيم إلى بلد الكفار، ومضيفا كذلك محاولة هروب بعض الأشخاص منها فمنهم من فشل، ومنهم من نجح في ذلك (مجهول، الكشف عن وثيقة تاريخية نادرة أصلية تعود إلى أحد المنفيين الجزائريين إلى كاليدونيا، 2024).

وعند يأس عزيز من صدور العفو عنه قرر الفرار بنفسه، وذلك من خلال ركوبه في سفينة بريطانية تحمل الزيت، وذلك بعد إعطائه رشوه إلى أحد الحراس مقدرة ب 200 فرنك فرنسي (فايد، جوانب من حياة الشيخ سي عزيز ابن الحداد، د.ت، صفحة 72)، وهذا المبلغ تم جمعه من قبل المرحلون الجزائريين ومحمد الحداد، فغادر كاليدونيا متوجها إلى أستراليا على المسار التالي: نوميا، سيدني، السويس، مكة (ولد الحسين، 2010، صفحة 19).

توجد رسالة أرشيفية مبعوثة إلى وزير المستعمرات يقول كاتبها والي كاليدونيا فيها: "يشرفني أن أبلغكم أن المرحل العربي عزيز بن أمزيان بن الشيخ رقم 2937 الذي تم صدور العفو عنه مع الإقامة الجبرية قد اختفى من المستعمرة" (Lallaoui, 2001, p. 89).

عند استقراره في مكة بعد اتمامه من أداء مناسك الحج، اشترى جارية حبشية تدعى "خانم بنت عبد الله" ذات 40 سنة، وقام بعتقها وتزوجها وأنجبت له طفلة سماها "خديجة" وطفل سماه "محمد الصادق" (فايد، جوانب من حياة الشيخ سي عزيز ابن الحداد، د.ت، صفحة 73).

5.2. صدور العفو ووفاته:

يعود سبب صدور العفو عن الشيخ سي عزيز حسب قول أحد أحفاده هو تعاونه مع أحد القناصل الفرنسية وتوسطه إلى سي عزيز والحكومة الفرنسية ذاكرا صفات سي عزيز وسمعته الطيبة لدى حكام مكة، مما جعلهم يستعجلون في إصدار العفو عنه سنة (1312هـ/1895م)، لكن تم القرار على أنه يستطيع خيار أي مكان يريد الإقامة فيه دون مستعمراتها خوفا من رجوعه إلى الجزائر إشعال ثورة أخرى، فاختار فرنسا على أمل أنه يستطيع العودة يوما إلى بلاده، إلا أن القدر شاء شيء آخر وهو موته بتاريخ 21 أوت (1312هـ/1895م) في باريس عن عمر يناهز 53 سنة (فايد، جوانب من حياة الشيخ سي عزيز ابن الحداد، د.ت، صفحة 73).

استطاع ابنه سي صالح بمساعدة أحد أصدقائه بإرجاع جثة والده إلى الجزائر لدفن في سفينة كانت ستنزل في العاصمة لكن بسبب خوف فرنسا (ولد الحسين، 2010، صفحة 20) من الجماهير التي جاءت لأجل سي عزيز أعطت أوامر بتحويل مسار السفينة إلى سكيكدة، ومن هناك تم أخذ جثمانه إلى قسنطينة ودفن هناك بجوار أبيه (فايد، جوانب من حياة الشيخ سي عزيز ابن الحداد، د.ت، صفحة 73) رحمة الله عليهما.

3. محمد بن عبد الله "بومعزة":

1.3. لمحة عن بومعزة:

ينتمي "بومعزة" إلى عائلة ذات نسب شريف تعود أصولها إلى منطقة "تارودانت" قرب مدينة قاس بالمغرب الأقصى، والتي استمرت منذ زمن بعيد في منطقة "أولاد خضيم" الواقعة في نواحي بني أوراغ بوادي أرهيو، ونظرا لتضارب الروايات حول تاريخ ميلاده يصعب تحديده بدقة، إلا أن المرجح أنه ولد خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، نشأ بومعزة في بيئة بسيطة وسط أسرة فقيرة تتكون من والده هدي عبد الله ووالدته عائشة بنت بوهتي، كان لبومعزة أشقاء أحدهم انتقل للإقامة في أولاد خضيم، بينما بقي هو مع والدته، وقد تقلد والده في فترة من الفترات مهمة قيادية، حيث كان شيخا لقبيلة بني بوحنيش المعروفة بتوجهها الديني الأزهري خلال الحقبة العثمانية، ومع انتقاله في شبابه إلى منطقة أولاد يونس التابعة لبلدية القلعة، استقبل بترحاب كبير من سكانها الذين أعجبوا بشخصيته الوقورة وأخلاقه العالية، هناك تزوج من ابنة مصطفى بن زيان، وهي عائلة فقيرة متدنية تعرف بورعها، وبحلول عام (1261هـ/1845م) وعندما أحس بومعزة بالظلم والاستبداد الفرنسي، انتفض دفاعا عن الأرض والعرض، ورفع راية الجهاد ضد قوات الاحتلال، بدأ تحركاته الثورية في الثالث عشر من أبريل من العام ذاته، ليعلن بذلك بداية كفاح مسلح متأثرا بالروح الدينية والصوفية (يختار، 2019، صفحة 5).

وبحسب الروايات العربية، فإن بومعزة تعني والد الماعز، التقى محمد ذات يوم أثناء عبوره الصحراء منهك من التعب وشديد العطش، وأخذه معه إلى خلوته، ومنذ ذلك الحين كان الماعز يتبعه ويوفر كمية كافية من الحليب لإطعام كل من قاتل معه، وتبقى هذه القصة مسجلة عند 2 أو 3 من الشعراء الشرقيين، ومن أهم الصفات التي عرف بها بومعزة أنه محارب يحب بريق الحديد ورائحة البارود وضجيج المدافع أو صوت أقدام الخيول وهمهمة الطبول (Martinval, 1847, p. 9).

استمرت مقاومة الشيخ محمد بن عبد الله المعروف بلقب "بومعزة" بعد قيادته لحركة المقاومة التي شملت مناطق الشلف وجبال الظهرة والونشريس منذ عام (1260هـ/1844م) إلى غاية (1263هـ/1847م)، خلال هذه الفترة خاضت قواته العديد من المعارك من أبرزها معركة "عين مران" بتاريخ 14 أبريل (1261هـ/1845م)، ومعركة "فنيلا العبد" يوم 18 من نفس الشهر، ومع بداية سنة (1262هـ/1846م)، عادت قوات بومعزة للنشاط مجددا في الشلف، مما دفع الجيش للرد بقسوة، تشير المراسلات الفرنسية إلى أن القوات الفرنسية قامت بمجازر ضد السكان الجزائريين، حيث ذكر سانت آرنو في إحدى رسائله بتاريخ 31 يناير (1262هـ/1846م) أن بومعزة عاد للظهور في منطقته وهاجم مركزا للجيش الفرنسي في "المشايعة"، مما أدى إلى مقتل سبعة جنود فرنسيين وإصابة 17 آخرين (العيد، 2022، صفحة 176).

الفصل الثالث..... نماذج عن أهم الأسرى

وفي 30 يناير تمكن الضابط كانوير من طرف بومعزة من المنطقة موقعا به خسائر بشرية قدرت ب 25 قتيلا من قوات الفرسان الفرنسيين، يستنتج من المراسلات أن بومعزة بدأ يظهر الضعف نتيجة الضغط العسكري الكبير وتوسع العمليات الفرنسية، بالإضافة إلى عدم تلقيه دعما كافيا، ومع هذا التراجع بدأ أتباعه في الاستسلام، ومنهم أحد رجاله البارزين الذي ذكره سانت أرنو على أنه: "كان خليفة بومعزة، وقد استسلم وسلم نفسه بالكامل"، كما أشار كذلك إلى أن عددا من أتباع بومعزة أيضا أعلنوا استسلامهم (العيد، 2022، صفحة 176).

2.3. استسلامه وسجنه:

في ظل الاكتفاء بآراء بعض المتخصصين ممن اشتهروا بالاعتماد على ما توفر لهم من المراجع التاريخية دون الوقوف بعمق على محطات هامة في حياة الشريف بومعزة، ظلت بعض الأحداث محل تأويلات وتفسيرات مختلفة أضيفت إليها أحيانا تهمة وادعاءات غير دقيقة، حيث شاع بينهم بعض الباحثين والعرب والفرنسيين أن الشريف بومعزة قد سلم نفسه للفرنسيين وهي رواية استخدمتها الدعاية الاستعمارية لتشويه صورته، لكن الحقيقة التاريخية تختلف عن ذلك (يختار، 2019، صفحة 5).

شهدت سنة (1263هـ/1847م) أحداثا متسارعة أثرت بشكل كبير على مقاومة بومعزة، وذكر سانت أرنو (Sant Arno) في رسالة بتاريخ 17 أفريل (1263هـ/1847م) تفاصيل حول نهاية مقاومة الشيخ محمد بن عبد الله، حيث وضح أن التحقيق الذي أجري أظهر أن الشيخ بومعزة لم يعد يملك القوة أو الدعم للاستمرار، وقد تم نقله من منطقة إلى أخرى حتى سلم نفسه في النهاية إلى السلطات الفرنسية بعد أن فقد الأمل في المقاومة، وقد أشار سانت أرنو (Sant Arno) إلى أن قبائل المنطقة لم تعد تملك القدرة على المقاومة بسبب قلة الموارد وصعوبة الأوضاع، مما جعله يطلب من زعماء قبائل الاستسلام، وبالفعل بدأت بعض القبائل ترسل ممثلين لها لتسليم أنفسهم، حتى أن الشيخ محمد بن عبد الله أرسل رسالة في 15 أفريل يطلب فيها من أحد ضباطه ترتيب عملية الاستسلام (العيد، 2022، صفحة 177).

تقرر أن يقدم بومعزة على تنفيذ هجوم إذ كان لابد من القيام بتحريك هجومي من جهته، فقاد مجموعة محددة من الفرسان، غير أن صعوبة التضاريس حالت دون تمكنهم من الوصول إلى بومعزة الذي كان متمركزا في منطقة واعة بين التلال تجعل أي محاولة اقتراب محفوفة بالمخاطر، ورغم هذه التحديات استمرت المطاردة نحو ثلاث ساعات جرت خلالها بأقصى سرعة ممكنة، وفي هذا السياق برز موقف الملازم مارغريت (Margarite) كعنصر حاسم إذ كان ممثل الوحيد للقوة الفرنسية في المنطقة في مواجهة تجمع كبير من العرب المتحالفين، وقد أدرك خطورة الموقف جيدا حين رأى بومعزة يقترب ما دفعه إلى التحرك السريع لاتخاذ قرار حاسم، أما

الفصل الثالث..... نماذج عن أهم الأسرى

بومعزة حين واجه هذا الهجوم المباغت لم يتمكن من الصمود فلاذى بالفرار تاركا وراءه أدواته وفرسه ودرعه وسلاحه التي تم الاستيلاء عليها لاحقا (Martinval, 1847, p. 14).

كما حصلنا على بيان بومعزة يتضمن اتفاق وقائمة بأسماء القبائل وزعمائها الذين سلموا أنفسهم، حيث جمعوا وسلحت خيولهم وأعطوا السلاح، ثم تركوا المدة ساعة كاملة دون نتيجة، مما دفع الملازم مارغريت (Margarite) للبحث عن بومعزة دون أن يجده، مما جعله يشعر بخيبة أمل كبيرة، وكان من الواضح أن بومعزة قد فقد الأمل تماما خاصة بعدما أدرك أن الوضع لم يعد يحتمل وجوده سواء من وجهة نظره أو من وجهة نظر الفرنسيين، وأن الاستسلام في هذا الظرف لم يكن مفاجئا بل كان نتيجة منطقية، وبالتالي سلم بومعزة نفسه مستسلما بإرادته راضيا بمصيره بعدما استنفد كل السبل وسلم بشرف دون إذلال (Martinval, 1847, p. 15).

في 19 أفريل وصل بومعزة إلى العاصمة الجزائر، كانت رحلته مليئة بالمواقف التي عكست تغيرا في تعامل الناس معه، حيث قوبل باحترام من الفرنسيين، عند وصوله تم التعامل معه بحذر شديد إلا أنه أظهر هدوءا واضحا وتجاوبا إيجابيا، مما ساعد على تهدئة الأجواء وعندما وصل إلى مارسيليا نقل له خبر رسمي من أحد الوزراء فبدى عليه التأثير الشديد، وبدأ يتصرف بالتواضع غير معتاد رافعا يديه إلى السماء، وكأنه يدعوا الله برغبة صادقة "أريد الذهاب إلى باريس لقد سمعت عنها الكثير كأنها مدينة المعجزات" (Martinval, 1847, p. 18).

وفي مقال الحسين يختار يذكر أن بومعزة أسر بعد خيانة من أحد رجال القبائل وسلم للفرنسيين، وتفيد بعض الروايات أنه استسلم طوعا حيث ألقى سلاحه نادما أمام الجنرال سانت آرنو (Sant Arno)، رغم أن هذه القصة مشكوك في صحتها وتروجها فرنسا لتبرير الاحتلال، لكن الجزائريين لم يصدقوا هذه الأسطورة وواصلوا مقاومة الاستعمار دون الالتفات لما يقال عن استسلام بومعزة، وقد نفى لاحقا إلى سجن شمال فرنسا، وهناك سجن في عهد نابليون الثالث، ورغم ما تعرض له من تشويه إعلامي إلا أن اسمه بقي رمزا للمقاومة، وبعد الإفراج عنه التحق بجيوش العثمانيين بالشرق وزار بغداد وبيروت ودمشق، حيث نزل ضيفا عند الأمير عبد القادر ورحب به وعاش في الشام إلى أن توفاه الأجل (يختار، 2019، صفحة 5).

II. الأسرى الفرنسيين لدى الجزائر:

1. فندلين شلوصر:

فندلين شلوصر هو ألماني الأصل ارتحل إلى البرازيل للعمل في المناجم، لكنه عاد إلى ألمانيا، ومن هناك توجه إلى فرنسا ثم إلى الجزائر، حيث انضم إلى فرقة عسكرية أجنبية تحت قيادة الجيش الفرنسي (عمراوي، د.ت، الصفحات 17-18)، وفي يوم من الأيام ذهب هو وأربعة من رفقاءه إلى الغابة لجمع الحطب، كان ثلاثة منهم يحملون فؤوسا لقطع الأشجار، بينما حمل هو ورفيقه آخر الحبال لربط الحطب أثناء سيرهم مروا بجسر جميل

الفصل الثالث.....نماذج عن أهم الأسرى

تزينه زخارف عربية، وتحيط به أشجار الدفلى ونباتات الفستق الكثيفة، لم يكن يتوقع أن يتحول هذا اليوم إلى كابوس، يقول أنهم كانوا بلا سلاح، عزل أمام خطر لم يكونوا مستعدين له، بدأوا بقطع الأخشاب الخضراء الثقيلة، محاولين جمعها بالحبال، وفجأة سمعوا دوي حوافر الخيل تقترب نظروا فإذا بفرسان يرتدون اللون الأحمر قد نزلوا عن خيولهم، وجلسوا يراقبونهم رغم شعورهم بالخطر، واصلوا العمل لكن أعدائهم ازدادت حتى أصبحوا ثلاثين فارساً، لم يعد هناك مجال للشك في نواياهم الشريرة، فجأة أحاطوا بهم وانقض بعضهم على رفاق شلوصر، بينما هاجمه هو الآخرون بالسيوف والرماح، لم يستطع المقاومة فسقط أرضاً، مزقوا ملابسه وسرقوا كل ما يملك، ثم ربطوه ووضعوه على ظهر حصان في تلك اللحظة أدرك شلوصر أن الجبال التي حملها لربط الحطب، قد تحولت إلى وسيلة أسر، ليته حمل فأسا ربما كان مصيره مختلفاً(شلوصر، 2007، الصفحات 12-13).

قبض عليه في شهر أفريل (1247هـ/1832م)، تم بيعه إلى الشيخ الثري ابن زعمون، ثم سلم إلى شيخ الطريقة القادرية بالأخضرية، علي بن عيسى، بعد ذلك نقل إلى الشرق وانتهى به المطاف أسيراً في قصر الحاكم، حيث بقي لمدة 5 سنوات تقلد خلالها عدة مناصب كان آخرها العمل في المدفعية للدفاع عن المدينة ضد الفرنسيين الذين هاجموها عام (1251هـ/1836م)(عمراوي، د.ت، الصفحات 17-18).

استنتاج الفصل:

بالاعتماد على النماذج التي تم تناولها في هذا الفصل، يتضح التباين الواضح في واقع الأسرى بين الجانبين، فقد عانى الجزائريون من أشكال متعددة من القمع وسوء المعاملة في سجون الاحتلال الفرنسي، بينما تشير المعطيات المتوفرة إلى أن الأسرى الفرنسيين رغم قلة عددهم لقوا معاملة أكثر إنسانية لدى المقاومة الشعبية، وتبرز هذه النماذج جانبا مهما من طبيعة الصراع بين الطرفين، كما تعكس مواقف كل طرف تجاه الآخر في ظل ظروف الحرب والمواجهة.

ورغم المعاملة السيئة لقادة المقاومة من طرف سجانهم وتحت رعاية الإدارة الفرنسية إلا أن حياتهم وسلوكهم في الأسر أبهر الأعداء قبل الأصدقاء، وقد نال الأمير عبد القادر الكثير من التقدير من طرف العديد من الشخصيات عبر العالم ومن فرنسا لما أبداه من أخلاق وحسن معاملة وتواضع وغيرها من السلوكيات الحسنة أثناء فترة أسره.

ورغم محاولة الاذلال والتنكيل لكسر الهيبة وانتزاع روح الاستسلام والهزيمة وانتقاص من الرمزية إلا أن قادة المقاومة أبدوا شجاعة وإيمانا فترة الأسر أبهروا به الأعداء.

من جهتهم أبدى أسرى العدو بعض الامتنان لما لقوه من معاملة حسنة أثناء فترة الأسر من خلال شهاداتهم، رغم أن البعض كان يتحين الفرصة من أجل الخديعة للتخلص من الأسر وخدمة الاحتلال الفرنسي.

الخاتمة

الخاتمة

ومن خلال ما توصلنا إليه في دراستنا لموضوع الأسرى أثناء فترة المقاومة الشعبية يمكننا الوصول والوقوف عند الاستنتاجات التالية:

← نستنتج أن ظاهرة الأسر لم تكن وليدة فترة الاحتلال الفرنسي فقط، بل كانت موجودة قبل ذلك، وظهرت بشكل واضح خلال الصراعات التي كانت تجمع الجزائر ببعض القوى الأوروبية؛

← نستنتج أن كل من الطرفين الجزائريين والفرنسيين مارسوا عملية الأسر بطرق وظروف مختلفة قبل سنة (1246هـ/1830م) سواء أثناء المعارك أو الهجوم على السواحل الخاصة لكليهما؛

← نستنتج أن مصير الأسرى كان يختلف من حالة لأخرى، وذلك باختلاف الجهة الآسرة وطبيعة الظرف الذي تم فيه الأسر، حيث تمت تسوية بعض الحالات بالتفاوض أو التبادل، في حين خضع البعض الآخر للاسترقاق أو الاحتجاز الطويل؛

← نستنتج أن الاحتلال الفرنسي اعتمد على الاعتقال الجماعي، وذلك لقمع أي حركة مقاومة، إذ لم يتم التفريق بين المدنيين والمجاهدين، وكان الهدف الأساسي هو نشر الرعب وكسر روح المقاومة والقضاء على كل من يقف في وجه فرنسا؛

← نستنتج أن المحاكمات التي خضع لها الكثير من الجزائريين كانت تفتقر للعدالة، حيث أنها كانت شكلية وصادرة عن محاكم عسكرية استعمارية لا تراعي حقوق المهتمين، وكانت الأحكام تصدر بسرعة ودائما ما تكون قاسية، غالبا ما تنتهي بالإعدام أو النفي، دون تمكين الأسير من الدفاع عن نفسه، بل وحتى هناك الأدلة التي تبين براءة بعض المهتمين لكن دون جدوى؛

← يعد النفي من أصعب وأقسى الأحكام التي فرضها الاستعمار الفرنسي على الجزائريين، وخاصة كاليدونيا الجديدة، وقد كان لهذا الحكم حضور قوي جدا بعد انتفاضة عام (1288هـ/1871م)، حيث شملت حملات النفي آلاف المقاومين، وواجهوا صعوبات كبيرة أثناء نقلهم إلى كاليدونيا، وأيضا واجهوا ظروف قاسية جدا في المعتقلات سواء في السجون والأعمال الشاقة أو من خلال صعوبة التأقلم في بيئة مختلفة تماما عن البيئة التي ترعرعوا فيها؛

← اتسمت معاملة المقاومة الشعبية للأسرى الفرنسيين بروح إنسانية مستمدة من تعاليم الإسلام والعادات المحلية، حيث تجنبت التمثيل بالأسرى رغم قسوة الاحتلال الفرنسي الذي اتبع سياسة القمع والوحشية؛

← تميزت معاملة الأمير عبد القادر لأسراه بالأخلاق، فحرص على توفير المأكل والمشرب والعلاج لهم، ومنع الاعتداء عليهم، مما جعل منه شخصية محترمة في نظر أعدائه.

الملاحق

الملحق رقم (01): نص بعض البنود من معاهدة السلم الواقعة في 24 أبريل 1684م (قنان،

2007، صفحة 295)

البند - 4

وللوصول إلى السلم المعني فقد تم الاتفاق بين الطرفين على استرجاع كل الفرنسيين الذي أصبحوا أرقاء في مملكة الجزائر ونوابعها وأفراد أوجاق هذه المملكة الموجودين حالياً في الاحضان الفرنسية (كمجدهين) حسب القوائم التي يتم تبادلها. إن السيد ديسو حاكم الباسنيون، تعهد والتزم باستقدام هؤلاء الأسرى على مراكب مخصوصة، ويقوم الديوان وسلطات الجزائر برد كل الأسرى الفرنسيين في نفس الوقت ويتم التبادل. كل الغنائم التي تؤخذ منذ اليوم الذي تم فيه إبرام هذه المعاهدة، يتم استردادها من الطرفين دون أن يحجز أي مركب أو سلع أو نفود أو معدات ولا أي شخص من هم عليها.

البند - 5

عندما تلتقي السفن المجهزة للحرب سواء أكانت قد خرجت من ميناء مدينة الجزائر أو من أي ميناء من موانئ المملكة بسفن مبحرة تحت راية فرنسا ومزودة بجوازات مستخرجة من الاميرالية وفقاً للنموذج الذي سيلحق في آخر هذه المعاهدة سوف يترك لها الحرية لمتابعة رحلتها بدون أية عرقلة ومساعدتها عند الحاجة. مع الملاحظة انه لا يرسل إلى المراكب لزيارتها (تفتيشها) سوى شخصين وطاقم القارب الذي يحملهما، ولا يدخل أحد غيرهما إلا بإذن صريح من قائد المركب، نفس الاجراء تتبعه السفن الفرنسية مع مراكب الخواص التابعين لمدينة ومملكة الجزائر الذين سيؤدون بجوازات يمنحها القنصل الفرنسي المقيم بالمدينة (الجزائر) والذي سيلحق نموذجاً لها في آخر هذه المعاهدة.

البند - 6

سوف تستقبل السفن الحربية أو التجارية الجزائرية والفرنسية على السواء في موانئ كل من البلدين وتمنح لهما بها كل أنواع المساعدة من مواد غذائية أو غيرها، وبصفة عامة كل ما هي في حاجة إليه بالسعر الجاري في السوق في المكان الذي تم فيه الشراء.

البند - 7

وإذا هوجمت سفينة تجارية فرنسية كانت راسية في ميناء مدينة الجزائر أو في أحد موانئ هذه المملكة من طرف سفينة حربية معادية، وكانت على مرمى مدافع الحصون سوف يدافع عنها وتحصن من طرف مدافع هذه الحصون. وفائد الميناء يلزم السفن المعادية المهاجمة بالسماح لتسفين بالخروج من الميناء، وترك الوقت الكافي لها للابتعاد، ولن يسمح للسفن المعادية بمطاردتها أثناء ذلك فنفس الالتزام يتعهد به امبراطور فرنسا بشرط ألا تقوم السفن الحربية الجزائرية بالاستيلاء على مراكب أعدائها على مسافة عشرة فراسخ من الشواطئ الفرنسية.

البند - 8

كل الفرنسيين الذين أسروا من طرف أعداء امبراطور فرنسا واقتيدوا الى ميناء مدينة الجزائر أو الى أحد موانئ هذه المملكة فانه سيطلق سراحهم في الحال ولن يسترقوا ولو كان هؤلاء قد اقتيدوا من طرف سفن طرابلسية أو تونسية أو غيرها والتي قد تكون في حالة حرب مع امبراطور فرنسا.

البند - 9

إن الداي، الباشا، والديوان وأوجاق مدينة ومملكة الجزائر سيعطون منذ الآن أوامر لولاتهم لجمع الارقاء ونهيتهم ليتم شراؤهم من طرف قنصل فرنسا بأفضل الاسعار. نفس التسهيلات تتم في فرنسا ازاء رعايا مملكة الجزائر.

البند - 10

كل الارقاء الفرنسيين تحت أية صفة أو ظرف كانوا عليه أو هم عليه الآن، في عموم مملكة الجزائر والذين أسروا منذ 18 أكتوبر عام 1681، وحتى أولئك الذين تم أسرهم منذ ابرام المعاهدة بين امبراطور فرنسا وبين الداي، الباشا وديوان مملكة الجزائر في شهر فبراير 1670 سوف تعطى لهم مطلق

الملاحق

الملحق رقم(02): خريطة تبين امتداد وحدود مقاومة الشيخ المقراني والحداد(سيدي محمد،
2016-2017، صفحة 338)



الملحق رقم (03): خريطة تبين امتداد مقاومة الأمير عبد القادر وأهم معاركه (سيدي محمد، 2016-2017، صفحة 336)



الملحق رقم (04): صورة الأمير عبد القادر في حدود سنة 1870 (بلاط، 2006، صفحة 111)



الملحق رقم (05): صورة سي عزيز الحداد (تاوتي، 2007، صفحة 122)



الملاحق

الملحق رقم (6): صورة بومرزاق المقراني (تاوتي، 2007، صفحة 199)



الملحق رقم (7): خريطة توضح المسافة بين الجزائر وكاليدونيا الجديدة (التاوتي، 2014)



الملاحق

الملحق رقم (8): جدول يوضح الأغراض التي منحت للمنفين الجزائريين عشية إقلاع السفينة بتاريخ 5 جوان 1874 (تاوتي، 2007، صفحة 123)

الاسماء الفرنسية	برانسيس			سيرة	سروال	ملاك	مساكنة	مزارع	سروال	الاصحاب	الانذورات	منازل	الزواج	الطلاق
	الاسم	اللقب	الكنية											
- أحمد بن مدار	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	2	1	1
- أحمد بن بارج	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	2	1	1
- علي بن سعد	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	2	1	1
- أحمد بن سعيد	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	2	1	1
- علي أمزيان أو زروق	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	2	1	1
- علي أمزيان نكيت أو زروق	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	2	1	1
- مدار بلعياض	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	2	1	1
- بلقاسم بن حسن	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	2	1	1
- العربي بن لمر يوي	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	2	1	1
- الحسن بن علي	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	2	1	1
- لويس بن الحاج	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	2	1	1
- محمد أو مكال	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	2	1	1
- الحاج محمد بن موسى	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	2	1	1
- حسن بن الشوب	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	2	1	1
- القاسم بن ادور	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	2	1	1
- محمد بن بلقاسم	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	2	1	1
- أحمد بن مسعود	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	2	1	1
- محمد أحمد بن حسن	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	2	1	1
- محمد أحمد بن طالب	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	2	1	1
- محمد بن علي	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	2	1	1
- محمد القاسم أو شوب	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	2	1	1
- محمد الحاج محمد	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	2	1	1
بن محمدان	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	2	1	1
- محمد القاسم أحمد الحاج	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	2	1	1
بن محمدان	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	2	1	1
- محمد بن عمر	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	2	1	1
- محمد بن سعد	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	2	1	1
- محمد بن سعيد	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	2	1	1
- سي أحمد المسعود	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	2	1	1
القاسم القطار	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	2	1	1
- محمد بورحانة	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	2	1	1

الملحق رقم (9): صورة تمثل قاعة الجلسات في ربيع سنة 1873 (تاوتي، 2007، صفحة 119)



صورة تمثل قاعة الجلسات في ربيع سنة 1873.



الملحق رقم (10): صورة بومعزة (بلاح، 2006، صفحة 111)



الملحق (11): صورة لإحدى الأسرى الجزائريين (Du Tallis, 1907, p. 1)



الملحق رقم (12): صورة لأحد المعارك الجزائرية الفرنسية (بلاح، 2006، صفحة 103)



قائمة المصادر والمراجع

1. المصادر والمراجع باللغة العربية:

1. القرآن الكريم:

- ← سورة الأحزاب: الآية 26.
- ← سورة الانسان: الآية 8.
- ← سورة المائدة: الآية 33.
- ← سورة محمد: الآية 4.

2. الكتب:

- ← ابن منظور. (د.ت). لسان العرب. (المجلد 6، الجزء 55). لبنان: دار المعارف.
- ← أحمد توفيق المدني. (2006). حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792. الجزائر: دار البحث.
- ← أحميدة عمراوي. (د.ت). الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني مذكرات "تيدنا" نموذجاً. عين مليلة: دار الهدى.
- ← أديب حرب. (2005). تاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري. (الطبعة 3، الجزء 2). دار الرائد للكتاب الجزائري.
- ← إسماعيل العربي. (1986). معركة سيدي إبراهيم ومصير أسراها. الجزائر: مؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.
- ← بسام العسلي. (2010). محمد المقراني وثورة 1871 الجزائرية. لبنان: دار النفائس للطباعة والنشر.
- ← بشير بلّاح. (2006). تاريخ الجزائر المعاصر من 1830 إلى 1989. (الجزء 1). دار المعرفة.
- ← بشير كاشة الفرّحي. (2007). مختصر وقائع وأحداث ليل الاحتلال الفرنسي (1830-1962) م. الجزائر: المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر الأشهار.
- ← جمال قنان. (2007). معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830. الجزائر: المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار.
- ← جيمس ويلسون ستيفن. (2007). الأسرى الأمريكيان في الجزائر 1785/1897 م. علي تابلت. الجزائر: دار ثالة.
- ← حسان بن ثابت. (2008). رحلة العالم الألماني: ج. أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ-1732 م). ناصر الدين سعيدوني. تونس: دار الغرب الإسلامي.
- ← حمدان بن عثمان خوجة. (2006). المرأة. محمد العربي الزيري. الجزائر: منشورات ANEP.
- ← خير الدين بربروس. (2010). مذكرات خير الدين بربروس. محمد دراج. (الطبعة 1). الجزائر: شركة الاصاله للنشر والتوزيع.

قائمة المصادر والمراجع

- ← سعد الله أبو القاسم. (2007). خلاصة تاريخ المقاومة والتحرر 1830-1962. الطبعة 1. لبنان: دار الغرب الإسلامي.
- ← سهيل الخالدي. (1997). الإشعاع المغربي في المشرق دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام. (الطبعة 1). الجزائر: دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع.
- ← سيمون بفايفر. (1974). مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر. أبو العيد دودو. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- ← الصديق تاوتي. (2007). المعبدون إلى كاليديونيا الجديدة مأساة هوية منفية نتائج وأبعاد ثورة المقراني والحداد. (الطبعة 1). الجزائر: دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع.
- ← عبد الرحمن بن محمد الجيلالي. (1994). تاريخ الجزائر العام. (الجزء 3، الطبعة 7). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- ← عبد العزيز فيلالي. (2012). جرائم الجيش الفرنسي في مقاطعتي الجزائر وقسنطينة 1830-1850. عين مليلة: دار الهدى للطباعة والنشر.
- ← علي عبد القادر حليمي. (1972). مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م. (الطبعة 1). دار الفكر الإسلامي.
- ← علي عزوزي. (2001). الأمير عبد القادر والأسرى: ملتقى الدولي حول الأمير عبد القادر والقيم الإنسانية. (عدد خاص). دار الأمة.
- ← كاثكارت. (1982). مذكرات أسير الداوي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب. إسماعيل العربي. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- ← كورين شوفالييه. (2007). الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541. جمال حمادنة. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- ← الكولونيل سكوت. (1981). مذكرات عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر 1841. إسماعيل العربي. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- ← محمد الشريف ولد الحسين. (2010). من المقاومة إلى الحرب من أجل الإستقلال 1830-1962. الجزائر: دار القصبة للنشر.
- ← محمد زوال. (2009). العلاقات الجزائرية الفرنسية 1791-1830. الجزائر: دار دحلب.
- ← محمد عيساوي، نبيل شريحي. (2011). الجرائم الفرنسية في الجزائر أثناء الحكم العسكري (1830-1871م). الجزائر: مؤسسة كنوز الرحمة للنشر والتوزيع.

قائمة المصادر والمراجع

- ← مصطفى الأشرف. (2007). الجزائر: الأمة والمجتمع. حنفي بن عيسى. الجزائر: دار القصبة للنشر.
- ← نجم الدين طبسي. (2012). النفي والتغريب في مصادر التشريع الإسلامي. (الطبعة 1). لبنان: دار الولاء للطباعة والنشر.
- ← ندلين شلوصر. (2007). قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837. أبو العيد دودو. وزارة الثقافة.
- ← نزار أباظة. (1994). الأمير عبد القادر الجزائري (الإصدار الطبعة 1). دمشق: دار الفكر المعاصر.
- ← نصر الدين براهيمي. (2010). تاريخ مدينة الجزائر، العهد العثماني. الجزائر: منشورات ثالة.
- ← هلايلي حنفي. (2008). أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني. (الطبعة 1). عين مليلة: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.
- ← هنري تشرشل. (1994). حياة الأمير عبد القادر. سعد الله أبو القاسم. تونس: الدار التونسية للنشر والتوزيع.
- ← وليم سبنسر. (2006). الجزائر في عهد "رياس" البحر. عبد القادر زبادية. الجزائر: دار القصبة للنشر.
- ← يحي بوعزيز. (1983). الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري. الطبعة 3. تونس: الدار العربية للكتاب.
- ← يحي بوعزيز. (2009). الموجز في تاريخ الجزائر. (الجزء 2، الطبعة 2). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- ← يحي بوعزيز. (2009). ثورات القرن التاسع عشر. الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع.
- 3. المقالات:**
- ← أسامة محمد منصور الحموي. (2003). عقوبة النفي (دراسة مقارنة في الفقه الإسلامي والقانون). مجلة جامعة دمشق. المجلد 19 (العدد 2).
- ← إسماعيل زيان. (2024). من نماذج الأسرى الجزائريين بمالطا خلال القرن السابع عشر: قراءة في منسوخات الأسير الجزائري علي بن يحي الزواوي. مجلة عصور الجديدة. المجلد 14 (العدد 1).
- ← بشرى بويط، حياة أم السعد. (2023). ثنائية المنفى والهامش، كتابة الذات وإحياء لتراث المنفى-رواية شبح الكليدوني-لمحمد مفلح أنموذج. مجلة دراسات معاصرة. المجلد 7 (العدد 1).
- ← بشير فايد. (2017). قادة ثورة المقراني والحداد أما محكمة الجنايات بقسنطينة سنة 1872م. مجلة الحكمة للدراسات التاريخية. المجلد 5 (العدد 12).
- ← بشير فايد. (2017). قادة ثورة المقراني والحداد أما محكمة الجنايات بقسنطينة سنة 1872م. /المجلد 5 (العدد 12).
- ← بشير فايد. (د.ت). جوانب من حياة الشيخ سي عزيز ابن الحداد. مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية.

قائمة المصادر والمراجع

- ← بلقاسم عباشي. (2023). تأثير مسألة القرصنة والأسرى في العلاقات الجزائرية الأوروبية من القرن 16م إلى القرن 19م. مجلة البحوث والدراسات الإنسانية. المجلد 17 (العدد 1).
- ← بلقاسم قرباش. (2013). بانياوات الأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830). مجلة الدراسات التاريخية. المجلد 2013 (العدد 1).
- ← بوعزة بوضرساية. (2020). الجهاد البحري في كتابات المؤرخ الجزائري الدكتور مولاي بلحميسي. مجلة الدراسات التاريخية العسكرية. المجلد 2 (العدد 1).
- ← بوعلام صفاح، عبد القادر دوحه. (2021). العائدات المالية لإفشاء الأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني. مجلة عصور الجديدة. المجلد 11 (العدد 2).
- ← بومدين دباب. (2018). المهام السرية لمفتدي الأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني. مجلة المغاربة للدراسات التاريخية والاجتماعية. المجلد 9 (العدد 1).
- ← حسين يختار. (2019). حقائق من مسيرة ونضال الثائر الشريف بومعزة. جريدة الخبر.
- ← حنان عماروش، أحمد عصماني. (2021). مسألة الردة بين الأسرى الأسبان في الجزائر العثمانية 1505-1792م دراسة في: "الأسباب، الدوافع والمواقف". مجلة هيروودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية. المجلد 5 (العدد 18).
- ← خليفة حماش. (2012). المصادر الوطنية عن الأسرى الجزائريين في أوروبا خلال العهد العثماني. المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد 45-46.
- ← زوينة بن عمارة، إبراهيم لونيسي. (2022). الحاكم العام الفرنسي في الجزائر الجنرال بيجو وأثر سياسته على الجزائريين 1841-1847. مجلة الإحياء. المجلد 22 (العدد 1).
- ← زينب اخلف. (2023). الممارسة الدينية والطقوس الاحتفالية للأسرى المسيحيين بمدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية (1519-1830م). مجلة عصور الجديدة. المجلد 13 (العدد 2).
- ← سمير نور الدين دردور. (2017). جريمة الإبعاد القسري في ظل القانون الدولي الإنساني-إبعاد الجزائريين إلى كاليدونيا الجديدة أنموذجا-. مجلة شبكة ضياء المؤتمرات والدراسات.
- ← صفاح بوعلام. (2022). الأوضاع الاجتماعية والدينية للأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني. مجلة الابراهيمي للعلوم الاجتماعية والإنسانية. المجلد 6 (العدد 1).
- ← صفاح بوعلام. (2022). الحياة اليومية للأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني. مجلة الونشريس للدراسات التاريخية. المجلد 1 (العدد 2).

قائمة المصادر والمراجع

- ← عابد سلطانة. (2010). أضواء جديدة عن مغادرة الأمير عبد القادر الجزائري سنة 1847. مجلة المواقف. المجلد 5 (العدد 5).
- ← عائشة غندوز. (2022). مبادئ العدل والقضاء في المشروع الأميري (1832-1860) "أسرى الحروب أنموذجا". مجلة الاستيعاب. المجلد 4 (العدد 2).
- ← عبد الحفيظ موسم. (2022). الأمير عبد القادر الجزائري ضمن اهتمامات الشخصيات الفرنسية خلال مرحلة أسره بفرنسا. مجلة دراسات وأبحاث. المجلد 14 (العدد 1).
- ← عبد الحفيظ موسم. (2022). الأمير عبد القادر الجزائري ضمن اهتمامات الشخصيات الفرنسية خلال مرحلة أسره بفرنسا. المجلد 14 (العدد 1).
- ← عبد الحميد قسول. (2023). اسهامات خير الدين بربروس (1518، 1543) في بناء كيان الدولة الجزائرية الحديثة وفق الدراسات الحديثة. مجلة دراسات تاريخية. المجلد 8 (العدد 1).
- ← عبد القادر المليقي. (2019). سلوكيات وأخلاقيات الأمير عبد القادر الجزائري جنده في الحرب "معاملة أسرى الحرب من الفرنسيين نموذجا". مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية. المجلد 9 (العدد 1).
- ← عبد القادر بلجة. (2022). أسرى الحرب الفرنسيين لدى جيش التحرير الوطني أو الوجه الإنساني للثورة الجزائرية. مجلة افاق فكرية. المجلد 10 (العدد 1).
- ← عبد القادر دوحه. (2010). إسهام الأمير عبد القادر في القانون الدولي الإنساني. مجلة المواقف والدراسات في المجتمع والتاريخ. (العدد 5).
- ← عبد الكريم قرين. (2020). جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر (معتقل كالدونيا أنموذجا). المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية. المجلد 5 (العدد 2).
- ← عز الدين بلعيد، نبيلة لرباس. (2024). كالدونيا منفى الثوار الجزائريين (1864-1895). المجلة التاريخية الجزائرية. المجلد 8 (العدد 2).
- ← عمر العربي. (2023). المنفيات الجزائريات إلى المستعمرات الفرنسية 1835-1898م. مجلة عصور الجديدة. المجلد 13 (العدد 14).
- ← فارس العيد. (2022). مقاومة الشيخ محمد بن عبد الله (الملقب بومعزة) (1844-1847) من خلال كتابات الضباط الفرنسيين "كتاب: Saint Arnaud, Lettres du Maréchal. TOME SECOND أنموذجا. مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية. المجلد 8 (العدد 2).

قائمة المصادر والمراجع

- ← كريمة حرشوش. (2021). أخلاقيات وإنسانية الأمير عبد القادر في الحرب "تعامله مع أسرى الحرب من الفرنسيين نموذجا". *مجلة الحوار المتوسطي*. المجلد 12 (العدد 2).
- ← محفوظ رموم. (د.ت). الاحتلال الفرنسي لأقصى الجنوب الغربي الجزائري والمجاهة العسكرية وثقافة الحوار الفكري.
- ← محمد الأمين بولعشار، عمر جفال. (2024). دور الطريقة القادرية في مواجهة الاستعمار الفرنسي-مقاومة ابن ناصر بن شهرة أنموذجا-. *مجلة الدراسات التاريخية*. المجلد 25 (العدد 2).
- ← محمد سريح. (2022). رأي الكولونيل سكوت في الأمير عبد القادر من خلال مذكراته: عن إقامته في زمالة الأمير عام 1841. *مجلة دراسات وأبحاث*. المجلد 14 (العدد 1).
- ← محمد غربي. (2021). الأمير عبد القادر أسير في أمبواز. *مجلة الحوار المتوسطي*. المجلد 12 (العدد 2).
- ← محمد يحاوي. (د.ت). ثورة المقراني في منطقة باليسترو "الأخضرية" سنة 1871. (العدد 22).
- ← ميلود عباسي. (2018). حجاجية عامل النفي في الخطاب التفسيري-ابن عاشور أنموذجا. *مجلة المدونة*. المجلد 5 (العدد 1).
- ← نادية عمراني. (2013). القرصنة البحرية وتميزها عن الأعمال المشابهة لها. *مجلة البحوث والدراسات القانونية والسياسية*. المجلد 3 (العدد 6).
- ← وليد بوشو، محمد بلقاسم. (2022). المصادرة والقمع في الإدارة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وردود فعل الجزائريين (انتفاضة عين التركي في 26 أفريل 1901 أنموذجا). *مجلة المواقف*. المجلد 18 (العدد 1).
- ← يحي بوعزيز. (1986). عودة إلى نهاية حياة الشيخ عزيز بن الحداد في المنفى. *مجلة الثقافة*. (العدد 96).
4. الأطروحات والرسائل:

أ. الأطروحات:

- ← بلقاسم قرياش. (2015-2016). الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830). أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر. قسم العلوم الإنسانية: جامعة مصطفى اسطمبولي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.
- ← خليفة حماش. (2006). الأسيرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني. قسم التاريخ: جامعة منتوري قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.

قائمة المصادر والمراجع

- ← رامي سيدي محمد. (2016-2017). المقاومات الشعبية في الجزائر وتونس -دراسة تاريخية مقارنة-. أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ الحركات الوطنية المغاربية. التاريخ: جامعة أبي بكر بلقايد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.
- ← رحمونة بليل. (2010-2011). القناصل والقنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية من 1564 إلى 1830. أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر. قسم التاريخ وعلم الآثار: جامعة وهران، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية.

ب. الرسائل:

- ← إبراهيم بن عبد العزيز بن محمد الأحمد. (2006). عقوبة الإبعاد في الشريعة والقانون. رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العدالة الجنائية. جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، كلية الدراسات العليا.
- ← إسحاق زيتوني. (2011-2012). البحرية الجزائرية وتأثيرها في العلاقات الجزائرية الفرنسية السياسية (1800-1519). رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث. قسم التاريخ: مركز الجامعي بغرداية، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية،
- ← زهرة بقبقي. (2009-2010). الأمير عبد القادر في الأسر (1848-1852). رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر. جامعة وهران، كلية العلوم الإنسانية وحضارة إسلامية.
- ← عائشة بن ساعد. (2003-2004). البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري. رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر.
- ← عائشة محمّة. (2011-2012). الأسرى الأوروبيين في مدينة الجزائر ودورهم في العلاقات بين الجزائر ودول الحوض العربي للمتوسط خلال القرنين السادس والسابع عشر للميلاد. رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث. قسم التاريخ: جامعة غرداية.
- ← محمد الأمين عطلي. (2011-2012). نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر وأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية. رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث. قسم التاريخ: جامعة غرداية.

5. المواقع الالكترونية:

- ← Aljazeera Arabic. (2017). وثائقيات الجزيرة/أوجاع الذاكرة.. مجازر الاحتلال الفرنسي في الجزائر. تم الاسترداد من <https://youtu.be> YOUTUBE.
- ← أماني إسماعيل. (د.ت). غويانا الفرنسية. تم الاسترداد من الثروة السمكية في المحيط الأطلسي: <https://kenanonline.com>.

قائمة المصادر والمراجع

- ← توفيق حميد. (2020). هل هناك معنى آخر "لما ملكت أيمانكم". تم الاسترداد من الحرة: <https://alhurra.com>
- ← عائد عميرة. (2021). كيف عاش الأسرى في الجزائر إبان العهد العثماني. تم الاسترداد من نون بوست: <https://www.noonpost.com>
- ← عبد القادر بن مسعود. (2022). "مراد راييس" بحار عثماني من أصول هولندية، وصلت غزواته البحرية إلى أيسلندا وأيرلندا. تم الاسترداد من عربي بوست: <https://arabicpost.net>
- ← مجهول. (2024). الكشف عن وثيقة تاريخية نادرة أصلية تعود إلى أحد المنفيين الجزائريين إلى كاليدونيا. تم الاسترداد من أخبار الوطن: <https://entv.dz>
- ← مجهول. (د.ت). مقاومة عين الترك 1901. تم الاسترداد من تاريخ مجيد وعهد جديد: <https://gloriousalgeria.dz>
- ← محمد مرايحي. (2020). الاسلام كمرجعية لحماية أسرى الحرب...إسهام الأمير عبد القادر الجزائري في تطوير القانون الدولي الجزائري. تم الاسترداد من الإنساني: <https://blogs.icro.org>
- ← مصطفى التاوتي. (2014). كاليدونيا.... مظلمة النفي. تم الاسترداد من YOUTUBE: <https://youtube.com>

II. المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

1. الكتب:

- Ben Mohammed, S. (1873). Mémoire D'un Accusé. Constantine: Imprimerie L. Marle.
- Du Tallis. (1907). (Deux prisonniers Béni-Snassen, gardés dans la cour du bureau arabe à Lalla Marnia): (photographie de presse)/(Agence...). France: Bibliothèque nationale de France.
- Gilbert, M. (1909). La question indigène en Algérie: L'internement Des Indigènes Son Illégalité. Paris: Ligue des Droits de l'Homme.
- Martinval, E. (1847). Bou-Maza, Scheriff des Ouled-Yonnes, Prisonnier des Français, notice biographique. France: bibliothèque nationale de France.

2. المقالات:

- Bongrain, M. (1864). Les Captifs De La Deira D'ABD-EL-KADER. France: Bibliothèque nationale de France.

- Charles, L. (1870). La Vérité Sur L'échange Des Prisonniers Français Et Des Prisonniers Arabes. Paris: Chez Tous Les Libraires De L'Algérie.
- Frémeaux, J. (2003). Guerre et violence en Algérie: 1830-1870; 1954-1964. Revue Historique des armées(N° 232).
- Lallaoui, M. (2001). Algériens du Pacifique. Alger: Editions Zyriab.
- Merle, I. (2020). Algériens en Nouvelle-Calédonie. Le destin calédonien du déporté Ahmed ben Mezrag ben Mokrani. HAL open science.
- Ouennoughi, M. (2006). Les déportés maghrébins en nouvelle-Calédonie. Naissance d'une micro-société (de 1864 à nos jours). (N° 32-33).
- Oulahal, R., Guerraoui, Z., & Denoux, P. (2018). Entre mémoire collective et émergence diasporique, le cas des descendants d'Algériens en Nouvelle-Calédonie. Journal de la Société des Océanistes.
- Xavier, Y. (s.d). Les Prisonniers De La Smala D'abd El-Kader. Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée.

3. المواقع الإلكترونية:

- bagneblog. (2015). Liste des algériens déportés vers le bagne de Guyane. Récupéré sur bagneblog: <https://bagneblog.wordpress.com>.
- DCJS, G. (s.d). Les Services Culturels de l'etat en Guyane. Récupéré sur Ministertère de la culture liberté égalité fraternité: <https://www.culture.gouv.fr>.
- viedelivre. (2018). Hassan Agha de Sardaigne, 3ème roi d'Alger. Récupéré sur VIE DE LIVRE: <https://dspace.univ.ghardaia.dz/>.

الفهارس

قائمة الجداول

قائمة الجداول

الرقم	عنوان الجدول	الصفحة
01	يوضح الغنائم البحرية الجزائرية في الفترة الممتدة ما بين (1026هـ/1607م) و(1027هـ/1618م) حسب قرامايي	5
02	يوضح اعداد الأسرى المسيحيين في مدينة الجزائر ما بين (1149هـ/1736م) و(1231هـ/1816م) حسب دفتر التشريفات	6
03	يوضح تقديرات بعض الأسرى المسيحيين في الجزائر ما بين (1151هـ/1738م) و(1246هـ/1830م) من خلال بعض المصادر الأوروبية	7
04	يوضح تقديرات بعض الأسرى الأوروبيين في الجزائر ما بين (1080هـ/1669م) و(1203هـ/1789م) من خلال بعض المصادر الأوروبية	8
05	يوضح الجدول جنسيات الأسرى المتواجدين في الجزائر خلال (1226هـ/1811م- 1230هـ/1815م)	9
06	يوضح الغنائم الأوروبية في الفترة الممتدة من (1010هـ/1602م) إلى (1167هـ/1754م)	10
07	يوضح عدد الأسرى المسلمين الذين بيعوا في قادس في الفترة الممتدة من (1060هـ/1650م) إلى (1163هـ/1750م)	11
08	يوضح قائمة أسماء بعض الأسرى مع أماكن إقامتهم وأسراهم	17
09	يوضح أنواع العبيد في الجزائر	19
10	يمثل الأسرى المسيحيون المعتنقون للإسلام بين الفترة (1018هـ/1609م) و(1028هـ/1619م)	20
11	يمثل جنسيات الأسرى المعمدين في إيطاليا بين الفترة (1183هـ/1769م) و(1212هـ/1798م)	23
12	يوضح كيفية أسراهم الشخصيات	30
13	النطق بالحكم	33
14	أسباب سجن بعض الأسرى	35
15	الأسرى المنفيين إلى غويانا	37
16	يوضح أهم السفن لنقل الأسرى إلى كاليدونيا	41

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

i.....	الشكر والعرفان
ii.....	الاهداء
أ.....	مقدمة

الفصل التمهيدي: قضية الأسرى بين الجزائر وأوروبا قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر

2.....	تمهيد الفصل
3.....	1.تكتيكات القبض على الأسرى
3.....	1.طرق الجزائريين في القبض على الأسرى الأوروبيين
9.....	2.طرق الأوروبيون في القبض على الأسرى المسلمين في أوروبا
11.....	II.حياة الأسرى في الأسر
11.....	1.الواقع المعيشي للأسرى الأوروبيين في الجزائر
15.....	2.الواقع المعيشي للأسرى المسلمين في أوروبا
18.....	III.مآل الأسرى في الأسر
18.....	1.مصير الأسرى الأوروبيين في الجزائر
22.....	2.مصير الأسرى المسلمين في أوروبا
25.....	استنتاج الفصل

الفصل الأول: الأسرى الجزائريون لدى فرنسا

27.....	تمهيد الفصل
29.....	1.إستراتيجيات وطرق القبض على الأسرى الجزائريين
29.....	1.طرق وأساليب الأسر
31.....	2.إجراءات فرنسا في التعامل مع الأسرى
37.....	II.النفى والتهجير القسري للجزائريين
37.....	1.تعريف النفي والإبعاد
38.....	2.النفى إلى غويانا
41.....	3.النفى إلى كاليدونيا الجديدة
46.....	استنتاج الفصل

الفصل الثاني: الأسرى الفرنسيون لدى المقاومة الشعبية

47	تمهيد الفصل
48	I. إستراتيجيات المقاومة في عمليات الأسر
48	1. طرق وأساليب القبض على الأسرى
50	II. أسس وأساليب معاملة الأسرى الفرنسيين لدى المقاومة
50	1. مرجعية ومبادئ معاملة الأسرى
51	2. طريقة معاملة الأسرى الفرنسيين
56	III. مصير الأسرى الفرنسيين
58	1. التبادل
59	2. الهروب
61	استنتاج الفصل

الفصل الثالث: نماذج عن أهم الأسرى

63	تمهيد الفصل
64	I. الأسرى الجزائريين لدى فرنسا:
61	1. الأمير عبد القادر
67	2. سي عزيز الحداد
681	3. محمد بن عبد الله "بومعزة"
74	II. الأسرى الفرنسيين لدى الجزائر
74	1. فندلين شلوصر:
76	استنتاج الفصل
77	الخاتمة
79	الملاحق
89	قائمة المصادر والمراجع
99	الفهارس
100	قائمة الجداول
102	فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

106.....	الملخص
----------	--------

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز أوجه التباين والتشابه في معاملة الأسرى بين المقاومة الوطنية الجزائرية وجيش الاحتلال الفرنسي خلال الفترة الممتدة من 1830 إلى 1916 ، وذلك من خلال تتبع ظروف وقوع الأسر، وأنماط المعاملة، والدوافع التي كانت تحكم كل طرف سواء كانت إنسانية، دينية، أو سياسية، وقد كشفت الدراسة عن تباين جوهري بين الجانبين في تصور مفهوم "الأسير" والتعامل معه، فبرغم من قلة إمكانيات المقاومات الشعبية، إلا أن معاملتها للأسرى تميزت غالبا بطابع إنساني متأثر بالتعاليم الإسلامية والموروث الثقافي المحلي، في المقابل فإن جيش الاحتلال الفرنسي اعتمد في أغلب الأحيان سياسة انتقامية تتسم بالعنف والتعذيب والإهانة، ضمن منهجية استعمارية تهدف إلى كسر الروح النضالية وردع أي تمرد.

Abstract:

This study aims to highlight the similarities and differences in the treatment of prisoners between the Algerian national resistance and the French colonial army during the period from 1830 to 1916, by examining the circumstances of captivity, the modes of treatment, and the motivations-whether humanitarian, religious, or political-that guided each side's behavior. The findings revealed a fundamental divergence in how both parties conceived and treated the notion of a « prisoner ». Despite the limited resources of the popular resistance, its treatment of captives was generally characterized by a humane approach, influenced by Islamic teachings and local cultural heritage. In contrast, the French colonial army often adopted a retaliatory policy marked by violence, torture, and humiliation, as part of a colonial strategy aimed at breaking the spirit of resistance and deterring any rebellion.